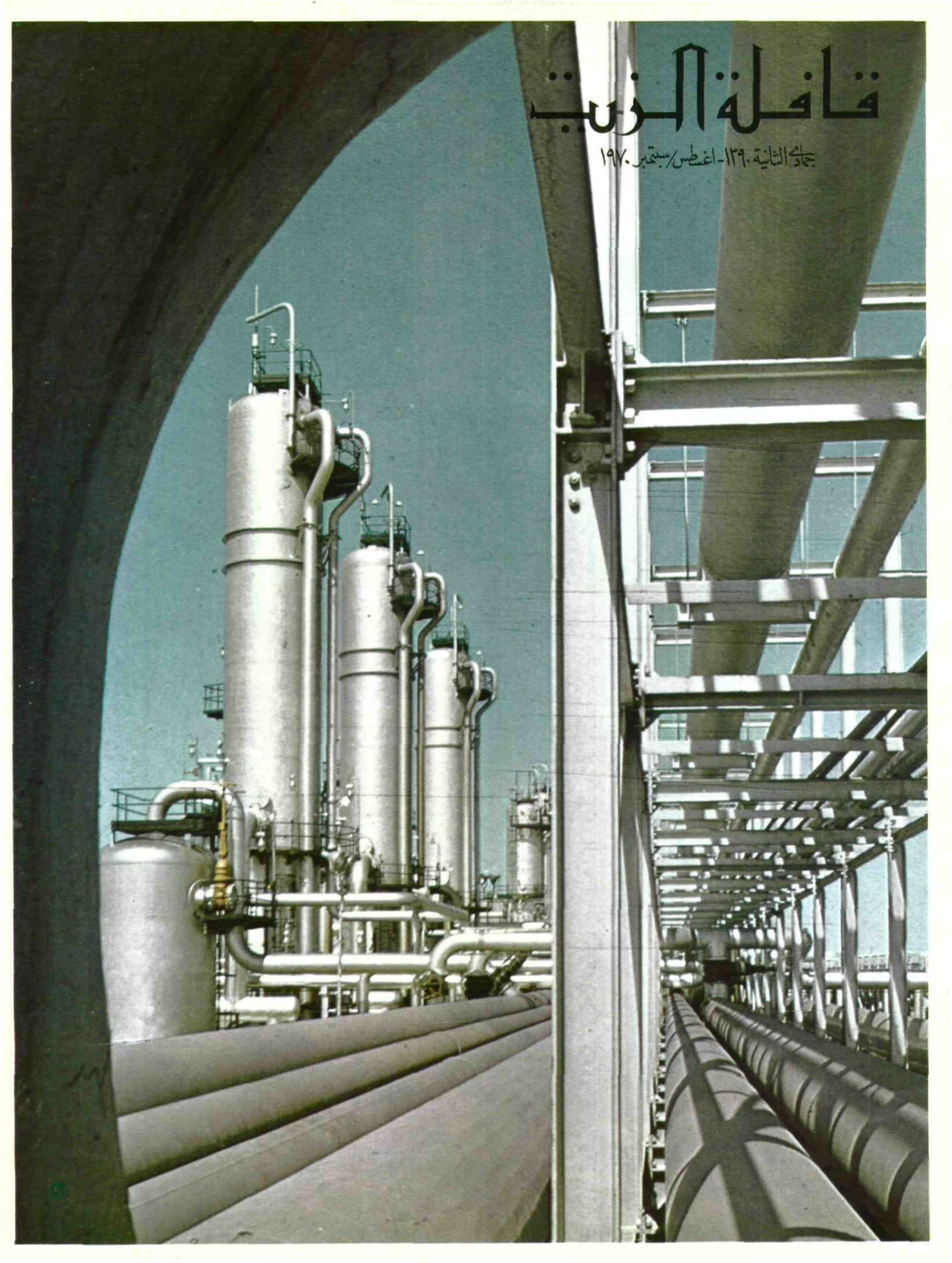
قافلة الزيت

جمادى الثانية ١٣٩٠ - اغسطس/سبتمبر ١٩٧٠





تضم مراكز التدريب الصناعي في أرامكو مكتبات تحتضن مئات الكتب والمراجع العلمية ..

تصوير : سعيد الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السادس المجلد الثامن عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

لقاء مع

علوم

استطلاعات

التعليق على صورة الغلاف

أعمدة معمل التركيز تمتد في أفق المنطقة الصناعية في بقيق . تصوير : شيخ أمين

المدير العام : مصطفى حسن الخان المدير المسؤول : علي حسن قبنا ديلي

رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

اللغة صوان الأمة

فإذا انحطت اللغة انحطت الأمة وفقدت أهم عوامل بقائها

بقلم الامير نديم آل ناصر الدين

لم تكن للعرب في عصور الجاهلية ، ولا في صدر الاسلام ، الا اللغـة الفصحى ، للتكلم والكتابة والخطابة ، فيجري بها لسان الصغير كالكبير ، دون أن تكون هنالك عامية تفسد على الناطقين سلامة النطق .

ومما تناقله رواة العرب ان ولداً طلب الماء ليشرب ، فجيء اليه بقربة مليئة بالماء ، فأخذها بيديه ، فضاق بها ذرعاً ، فصاح بأبيه : « يا أبت غلبني فوها ، أدرك فاها ، لا طاقة لي بفيها ».

واستمر العرب ، على الفطرة ، يتكلمون الفصحى ، ويستعملونها في الخطابة والكتابة دون غيرها ، الى حين اختلطوا بالفرس ، ففسد فيهم اللسان الفطري ، وسيطرت عليهم الرطانة ، فاضطرت الدولة العربية الراشدية ، أن تكل الى علمائها ، وضع قواعد للغة تصونها من التلف . وهكذا وضعت قواعد الفصحى ، ونشأت الى جانبها العامية .

واعتمد علماء اللغة ، اذ وضعوا قواعدها ، على « القرآن الكريم » وعلى الشعر الجاهلي ، في كل ما استعصى عليهم ، من مشاكل اللغة ، وفك كل ما التبس عليهم من معاقدها . وعلى هذا رأينا كل قاعدة من قواعد اللغة مدعومة بآيات من « القرآن الكريم » ، أو بأبيات من الشعر الجاهلي ، لتأكيد صحتها ، وزالة وجوه الشك في حقيقتها .

وكان بعض علماء اللغة ، اذا غمضت عليهم ألفاظ ، فلم يهتدوا الى حقيقة أصولها ، توجهوا الى احدى القبائل البدوية المحافظة على اصالتها في لفظ الفصحى ، واستفتوا شيوخها ، فدلوهم على الصحيح من الفاسد .

وفي العصرين ، الأموي والعباسي ، كانت نهضة جبارة بلغت فيها اللغة العربية ، أوج العزة والعظمة ، فاذا الألوف من حماة الفصحى وحملة ألويتها ، يردون عنها اذى الراطنين والعابثين . ثم انتقلت هذه النهضة الى الأندلس ، فاذا اللغة الأصيلة تحتل صدور المجالس في الدولة العربية الغربية ، كما احتلت صدور المجالس في الدولة العربية الشرقية ، واذا قرطبة وغرناطة والزهراء ، تصدر العلماء والشعراء والأدباء ، كما كانت تصدرهم دمشق وبغداد وحلب والقاهرة .

على الرغم من الاحتلال الذي نكب به العرب ، ما يزيد على أربعمئة من السنين ، بقيت عند فئات منهم ، في مختلف أقطارهم نوازع حب الحفاظ على اللغة ، والمجاهدة في سبيل اعزازها ، لما استيقنوا بالأدلة التاريخية القاطعة ، من ان الأمة بلسانها ، فاذا فسد هذا اللسان ، انحطت الأمة ، وفقدت أهم عوامل بقائها.

واذا جاء القرن التاسع عشر ، أخذت الفصحى تتنفس الصعداء ، على أيدي رهط من العرب ، أقاموا للفصحى معقلين ، واحداً في لبنان ، وآخر في مصر . وما كاد القرن التاسع عشر يشرف على نهايته ، حتى قامت نهضة عاتية ، أعادت الى لغة « الضاد » أيامها الأوائل الزواهر ، ومجدها الباذخ التليد ، فاذا هي تستعيد اصالتها القرشية ، بايمة كبار ، ردوا عليها ثوبها البدوي بأبهى طراز حضري ، وبشعراء فحول ، أعادوا للشعر أبهته القديمة ، بأبهة جديدة ، اقتضتها مستحدثات الحضارة العصرية .

واستمرت هذه النهضة ، الى أواخر النصف الأول من القرن العشرين ، على ان أزهر سنيها وأحفلها بمواسم الشعر والأدب ، من السنة ١٩٠٠م الى السنة ١٩٢٥م .

وما مرت بضع سنوات من النصف الثاني للقرن العشرين ، حتى أصيبت العربية بنكسة لم تصب بمثلها منذ وجودها الأول ، اذ تنكر لها بعض أبنائها ، وتعمدوا اذاتها ، باهمال قواعدها ، وهدم أصولها ومتونها، وتحريف أساليبها ومناهجها، واحلال مئات الألفاظ العامية محل الألفاظ الفصيحة ، وأخذت كثيرات من المدارس الحديثة تضعف العربية في صفوفها ، فرأيت الكثيرين من خريجيها يجهلون العربية ، لغة الأمة ، جهلا فاضحا ، ولا يجيدها الا القلة الناشئون على حبها في بيوتهم وبيئاتهم .

كان الكاتب العربي ، في الأيام الماضيات ، يتحرى كل ما يكتبه ، حتى لا يرتكب مغالط لغوية ، يعيبها عليه علماء اللغة ، فتلتصق بجبهته معرتها طول العمر وتقترن بذكره بعد الموت . أما كتاب هذه الأيام ، فقلما يخلو لكاتب منهم سطر غير محشو بالمغالط اللغوية أو البيانية ، ولا يرى سوادهم في ما يرتكبون شيئاً يؤاخذون عليه ..

من عثرات الأقلام ، التي تكاد لا تحصى ، جمعهم « السائح » على « السواح » ، ومن الصواب جمعه على « السياح » . ومنها استعمالهم « الحماس » بمعنى « الحماسة » ، وهو الخطأ المحض ، لأن « الحماسة » معناها الشدة في الأمر والشجاعة في حين ان « الحماس » بفتحتين ، ضرب من الشجر ، يتخذ من ورقه أو جذوره دواء ، كغيره من أنواع الشجر والنبات التي تتخذ منها أدوية .

كان بعض أدباء العرب يتوجهون الى أمير الدولتين المغفور له الأمير أمين آل ناصر الدين يستفتونه في ما يشكل عليهم من أمور اللغة . ومما طلبوا مرة أن يفتيهم فيه ، كلمتا « الحماس » و « الحماسة » . قال الأمين :

« الحماسة » : الشدة في الأمر والشجاعة ، لأن الشجاع يشتد على قرنه عند الكفاح . و « الحماس » بفتحتين ضرب من الشجر ، لعله مما يحمس ورقه أو جذوره على النار قليلا فيتخذ منه دواء كبعض أنواع الشجر والنبات التي يصنع بها ذلك ، وهو من حمس فلان الشيء يحمسه حمساً قلاه ، أما استعمال « الحماس » بمعنى « الحماسة » فخطأ . وقد طالعت منذ شرعت أعنى باللغة والأدب عشرات الكتب اللغوية والأدبية فلم أجد « الحماس » قط مستعملا بمعنى « الحماسة » .

وبعد ، فليست هذه اللفظة وحدها تستعمل اليوم لغير ما وضعت له ، فهناك مئات من الألفاظ يستعملها كثير من الكتاب من غير تحقيق حتى ما يكاد يخلو سطر يكتبونه من لفظة لا صلة بينها وبين المعنى الذي يريدون .

من ذلك استعمالهم الفعل « انصاع » بمعنى أطاع ، كقولهم « انصاع فلان لفلان » ، مع ان معناه « انفتل راجعاً مسرعاً ومر » .

ومنه استعمالهم « التحرير » بمعنى الانشاء ، وانما هو تقويم ما يكتب وتهذيبه واصلاح سقطه ، فمحرر الجريدة أو المجلة هو الذي ينظر في ما يرد من المقالات والرسائل ، وما ينشئه كتابهما فيصحح ما يقتضي التصحيح ، ويحذف ما يجب حذفه ، ويهذب العبارات وينسقها ، الى غير ذلك مما لا غنى عنه . فلا يجوز والحالة هذه أن يسمى كل كاتب جريدة محرراً .

ومنه استعمالهم « درج بالوفاة » لكل من مات ، ولا يقال ذلك الا لمن توفي ولا عقب له ، أما هم فيقولون « درج فلان بالوفاة فنعزي أنجاله النجباء عن فقده .. » . انتهى كلامه .

ومن عثرات الأقلام ، استعمال بعض الكتاب « طيلة » بمعنى « طول » ، في حين ان معناها « عمر » ،

ومنها استعمالهم الفعل « أمكن » متعديا باللام ، فيقولون : « أمكن لي العمل » في حين ان علماء اللغة لم يجيزوا استعماله الا متعديا بنفسه ، فقالوا : « أمكنني العمل » .

ومنها تأكيدهم الاسم المرفوع ، بالضمير المنفصل المنصوب ، فيقولون : « أقرت الحكومة اياها الاستغناء عن الخبراء الأجانب » وهو منتهى السخف والعامية . ومن الصواب القول في مثل هذه الحال : « أقرت الحكومة نفسها الاستغناء عن الخبراء الأجانب » ، أو « أقرت الحكومة هي نفسها الاستغناء عن الخبراء الأجانب » .

ومنها قولهم : « اشغله عن الأمر » ، ومن الصواب القول : « شغله عن الأمر » بلا ألف . قيل ان رجلا كتب الى الصاحب بن عباد يقول له في جملة ما كتب : « فان رأى الصاحب أيده الله اشغالي بأحد أشغاله » ، فوقع الصاحب في الكتاب : « لا شغل عندي لمن يقول اشغالي » .

ومنها جمعهم « أجرة » على « أجور » ، فيقولون : « أقرت الشركة زيادة أجورهم » ، ومن الصواب أن تجمع . « أجرة » على « أجر » ، فتقول : « أقرت الشركة زيادة أجرهم » .

ومنها استعمالهم الفعل « تزوج » متعديا بمن ، فيقولون : « تزوج زيد من هند » ، ولم يورد علماء اللغة هذا الفعل الا متعدياً بنفسه أو بالباء ، فيقال : « تزوج زيد هنداً أو تزوج بهند» .

ومنها فصلهم « سوف » عن الفعل بلا النافية ، فيقولون : « سوف لا أفعل كذا » ، فمن الخطأ الفاضح أن يفصل « سوف » فاصل عن الفعل . فاذا أردت نفي الفصل للحال قلت : « ما أفعل كذا » ، واذا اردت نفيه للمستقبل القريب قلت : « لا أفعل كذا » ، واذا اردت نفيه للمستقبل البعيد قلت : « لن أفعل كذا » .

ومثل « قد » مثل « سوف » ، فلا يصح أن يفصل بينهما وبين الفعل الا بالقسم، لأن فيه تأكيد لمعناها ، نحو : « قد والله أحببتك » ، أمّا الذين يقولون : « قد لا أفعل كذا » ، و « قد لا يجيء زيد » فانهم لعلى خطأ بيّن .

و « لقد » معان خمسة : الأول التوقع ، ويكون مع المضارع نحو : « قد يقرب البعيد » اذا كنت تتوقع قربه ، ومع الماضي نحو : « قد قامت الصلاة » اذا كانت لم تقم ، ولكنك تتوقع قيامها .

والثاني تقريب الماضي من الحال نحو : « قد جاء الأمير » أي جاء في الماضي القريب .

والثالث التقليل نحو : « قد يصدق الكذوب » .

والرابع التكثير نحو : « قد يجود الكريم » ، قال الهذلي :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني
جرداء معروفة اللحيين سرحوب

والخامس التحقيق نحو : « قد أفلح من فعل خيراً » .

وهنالك من العثرات الفاضحة ، ما لا يتسع له مكان هذه الصفحات القليلة . ولنقل مع الأمير أمين ، طيب الله ثراه :

يا من يرى اللغة الفصحى وقد نكبت
بكل دهياء ردت نورها ظلما
هوت من الذروة العليا وبث لها
شر الغوائل قوم ضيعوا الهمما
تعاوروها بأقلام والسنة
أخنت عليها ولم يستشعروا ندما
تخالهم عربا حتى اذا خطبوا
في الناس أو كتبوا لم يفضلوا العجما
تلك الطروس التي ضمت سطورهم
تكاد تشكو الى قرائها ألما

صورة الكون ومقاييسه

بقلم الاستاذ الدكتور فؤاد صروف

صورة الكون

للجغرافيين العرب القدامى مآثر في علم الجغرافية مدوّنة في مؤلفات جليلة ، منها كتابان للخوارزمي وللاصطخري ، عنوان كل منهما « صورة الأرض » . وكلمة « جغرافية » مؤلفة من كلمتين ، احداهما معناها « الأرض » ، والثانية معناها « وصف » . وعلى غرارها كلمة « سيلينوغرافية » لوصف القمر أو « صورة القمر » . ومن هنا جعلت عنوان هذا المقال «صورة الكون» وهو أدق من قولنا « جغرافية الكون » ، لأن كلمة « جغرافية » خاصة بالأرض .

في وصف « صورة الكون » ، وتبيين بعض ملامحها الغالبة ، ننطلق من الأرض مرحلة فمرحلة الى آفاق لا تحد — من الأرض الى المجموعة الشمسية ، الى المجرّة ، الى المجرات التي لا تكاد تحصى في الكون الأوسع .

فهذه هي الأجزاء الرئيسية التي تتألف منها « صورة الكون » في نظر الانسان ، وفقا للرأي الفلكي الحديث . واذا تصورنا الكون كالمحيط الخضمّ ، كانت المجرّات فيه كالجزائر الكبيرة ، وكانت مجرتنا احداها ، وكانت مجموعتنا الشمسية رقعة صغيرة في هذه المجرّة ، وأرضنا محلة صغيرة في هذه الرقعة .

الأرض كوكب سيار ، وتجاريها في ذلك كواكب سيارة أخرى وأجرام متعددة الأشكال والأوصاف فتؤلف في جملتها ما وقع الاصطلاح على تسميته « بالمجموعة الشمسية » أو « النظام الشمسي » .

فالنظام الشمسي يضم الشمس ، وحولها تسعة كواكب سيارة ، أحدها الأرض . وهي بحسب ترتيبها في بعدها عن الشمس : عطارد (أقربها الى الشمس) ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، أورانوس ، نبتون ، بلوطو . ولبعض هذه الكواكب أقمار تدور حولها ، فللأرض قمر ، وللمريخ قمران ، وللمشتري اثنا عشر قمرا ، ولزحل تسعة ، ولأورانوس خمسة ، ولنبتون قمران ، وليس لعطارد ولا للزهرة قمر ، ولا لبلوطو فيما نعلم .

ولكل واحد من هذه الكواكب السيارة أوصاف حققها العلماء . فعطارد ، مثلا ، أقربها الى الشمس ، وان كان بعده عنها ستة وثلاثين مليونا من الأميال ، وهو صغير الحجم ، لا يزيد على حجم قمر الأرض ، ويدور حول الشمس أربع مرات ، كلما دارت الأرض مرة واحدة ، أي ان سنته ربع سنة الأرض . والزهرة تتلألأ كالماسة الصافية بعد الغروب أو قبل الشروق ، وتكاد تكون ، هي والأرض ، من حيث الحجم ، أختين توأمين . وهي التي يعنى بها العلماء بانفاذ السوابر الفضائية اليها ، عسى أن يدركوا بعض خفاياها ، التي يحجبها جوّ ملبّد . وقد عرف المريخ باحمرار الضياء المنعكس عن سطحه ، وسنته تكاد تعدل سنتين من سني الأرض . والغالب أن بعض الأحوال على سطحه تؤاتي وجود أشكال من الأحياء الدنيا عليه ، وهو رأي لم يزل مثار بحث وجدل بين العلماء . أما المشتري فكالجبار بينها ، يفوق حجمه حجم الأرض ألفا وثلاثمئة مرة ، وتفوق كتلته كتلة الكواكب السيّارة مجتمعة . ويليه زحل المنفرد بوجود حلقات مضيئة حوله ، علاوة على تسعة أقمار . أما الكواكب الثلاثة الأخيرة فتتميز عما سبقها بأنها كشفت بالمراقب في العصور الحديثة ، لا بالعين المجردة من قديم الزمان . والواقع أن نبتون وبلوطو ، وهما أبعدها عن الشمس ، كشفا أولا على الورق وبالحساب الرياضي ، ثم أيد الرصد بالمراقب هذا الحساب .

ويضم النظام الشمسي أيضا أجراما عديدة ، كبيرة وصغيرة لا تكاد تحصى ، منها الكويكبات ، وهي ألوف كثيرة ، يغلب انها نثار كوكب قديم تفتت ، فبقيت شظاياه تدور في فلكه بين المريخ والمشتري . ومنها ذوات الأذناب أو المذنبات ، التي يدور كثير منها في مدارات أهليلجية مستطيلة ، وتبدو كبارها برأسها وذيلها مشهدا رائعا في الفضاء عندما تدنو من الشمس . وقد وصف أبو تمام في يائيته المشهورة أحدها ، وهو مذنب هالي ، كما أثبت ذلك الدكتور يعقوب صروف ، فقال :

وخوّفوا الناس من دهياء مظلمة
لمّا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

ثم هناك الشهب التي تشق الفضاء فرادى كخيوط من الضياء ، أو تنهمر أحيانا في زخّات وهي أجسام لا تتبدى للعين حتى تدخل جوّ الأرض ، فيحصل الاحتكاك وترتفع الحرارة ، فتومض حتى ينتهي أمرها ، أو تتفرقع ، وهي النيازك ، ومنها قليل تبقى منه بقية تبلغ الأرض ، فهي الرجم ، كما حصل في سيبيريا وأريزونا منذ زمن غير بعيد .

هذه اذن هي صورة النظام الشمسي في ملامحها الكبيرة . وهو على سعة رقعته وتعدّد أجرامه ، جزء صغير جدا من المجرّة . والمجرّة ، البالغة من الضخامة مبلغا يذهل الخيال ، تبدو للعين المجردة في ليلة صافية الأديم كأنها نهر أو نطاق مضيء غبش الضياء ، مقوّس فوق الرأس ، ومن هنا سميت « الطرق اللبنية » .

وفي طليعة مكتشفات العقد الثالث من هذا القرن ، ما حققه « شابلي » ، وهو لا يزال حيّا يرزق ، عن ترتيب النجوم في مجرّتنا ، وما أثبته « هبل » من أن السدم الحلزونية ، هي مجرّات خارج مجرّتنا ، وعلى بعد شاسع عنها .

ومع أنه طرأ على تقديراتهما الأولى لمقاييس المجرّة تغيير يذكر فرضه ازدياد الأرصاد ، وتمحيص نتائجها ، والامعان في تدقيق الحساب ، فان عملهما كان الأساس الذي أرسيت عليه صورة الكون في علم الفلك الحديث .

فالمجرّة ذاتها تشبه ، في هذا المذهب من القول ، قرصا مرتفعا قليلا في الوسط ، كالصفار في البيضة المقليّة ، أو هو كحبة العدس ، أو ساعة الجيب . طول القرص مئة ألف سنة ضوئية ، وسمكه عند مركزه خمسة وعشرون ألف سنة ضوئية ، ويحتوي على مئة ألف مليون نجم ، متباينة الاشراق والاحجام والخصائص ، أقربها الى شمسنا يبعد عنا أربع سنوات وثلث سنة ضوئية . ولما كانت المجرّة تدور حول مركز ، فلها عند حافتها أذرع ملتوية تجعلها تبدو كالحلزون ، وفي احدى هذه الأذرع تقع مجموعتنا الشمسية على نحو خمسة وعشرين ألف سنة ضوئية من المركز . أما الفضاء بين هذه النجوم والأجرام فليس فراغا تاما بل فيه غاز رقيق أو سحب من مادة لطيفة ودقائق وشوارد ، أجرى عليها العلماء بحوثا دقيقة ، مرقبية وطيفية ورياضية فعرفوا كثيرا من أوصافها .

وقد ظل الظن قائما الى عهد غير بعيد أن المجرّة هي الكون المادي كله ، ولكن لم يلبث رصّاد السماء حتى بدأوا يتبينون في مراقبهم وصورهم الضوئية وسائر أجهزتهم العلمية لطخا من الضياء الخافت وصفها كبير فلكيي العرب أبو الحسن الصوفي بقوله « لطخ سحابية » ، وقد تراءت أولا وكأنها داخل المجرّة ، ثم ثبت أنها خارجها ، وانها تبعد عن المجرّة ، وبعضها عن بعض ، مسافات شاسعة ، ومن ثم أخذت الدلائل تتراكم على أن كل لطخة منها عالم قائم بنفسه أو مجرّة مستقلة ، كالجزائر الضخمة في المحيط العباب ، فسميت « العوالم الجزرية » أو « السدم » . أما

قصة كشفها واستطلاع خفاياها وأسرارها وصلتها ببدء الكون ومصيره ، فمن أروع فصول العلم الحديث .

وقد نجمت الأفكار الحديثة عن طبيعة الكون في صورته الحديثة من البحوث التي تمت في مرصد جبل « ولسون » بكاليفورنيا ، وبخاصة المرقب العاكس الذي قطر مرآته متران ونصف المتر . وباطراد التقدم في وسائل الرصد ، وبخاصة بعد انجاز مرقب « هيل » في مرصد جبل « بالومار » بكاليفورنيا ، وقطر مرآته خمسة أمتار ، ازداد ما كشف من هذه المجرّات الخارجية ازديادا مطردا ، حتى أربى على ألوف الملايين .

هذه اذن ، هي « صورة الكون » العامة كما يراها الانسان المقيم في كرة لا تعدو أن تكون كحبة الرمل بالقياس الى جميع الصحراوات .

مَقَايِيسُ الكَوْن

القياس وحسابه ، ركنان لا غنى للعلم عنهما . وكلاهما موغل في القدم ، وتتبّع تطورهما الى الشائع والمعتمد في عصرنا من وحدات القياس وأساليب تطبيقها وطرائق حسابها ، لمن أمتع البحوث وأعلقها بالنفس .

من بقايا العصور الغابرة ، الاعتماد على الشبر والقدم والقامة والذراع في قياس الطول . ولكن النظام المتري أخذ يتغلب على سواه ، وأجزاؤه أو ما يقابلها تصلح لقياس أبعاد على سطح الأرض . فالغرفة يقاس طولها وعرضها بالقدم أو بالمتر ، والمسافة بين مدينة ومدينة بالميل أو بالكيلومتر . حتى الشمس والكواكب السيارة تقاس أبعادها بأحدهما ، فالشمس تبعد عنا ثلاثة وتسعين مليون ميل . وهذه مسافة شاسعة . فاذا خرجنا من نطاق المجموعة الشمسية أضحت المسافات المترامية تذهل الخيال . والشمس على بعدها ، قريبة جدا بالقياس الى سائر النجوم . وأقرب نجم الينا يبعد نحو خمسة وعشرين مليون مليون ميل . وسائر النجوم والمجرّات أبعد كثيرا .

فلم تكن ثمة بدّ من ابتكار وحدة غير الميل والكيلومتر لقياس هذه المسافات .

هذه الوحدة هي سرعة الضوء في سنة ، وتعرف باسم « السنة الضوئية » . وقد حققها علماء الفيزياء فهي مئة وستة وثمانون ألف ميل ، أو ثلاثمئة ألف كيلومتر في الثانية . فالضوء يستغرق في وصوله الينا من الشمس ثماني دقائق وتسع عشرة ثانية ، ومن أقرب النجوم الينا « الفا قنطوروس » أربع سنوات وخمس سنة ضوئية ، ومن الشعري ، أبهى الثوابت ، ثماني سنوات وستة أعشار السنة الضوئية ، ومن الشمس الى مركز قرص المجرة خمسة وعشرين ألف سنة ضوئية . وقد بيّن علم الفلك الحديث أن في مجرّتنا مئة ألف مليون نجم ، يبعد كثيرا منها عنا وبعضها عن بعض مئات السنين الضوئية ، أو ألوفها . وخارج مجرّتنا مجرّات ، أقربها الينا ما تقع في صورة « المرآة المسلسلة — أندروميدا » ، التي لاحظها أبو الحسن الصوفي ، يبعد نحو مليوني سنة ضوئية ، وأبعدها عنا يتجاوز خمسة آلاف مليون سنة ضوئية .

أما قياس هذه المسافات المترامية ، فقد تطورت أساليبه على الزمن ، من الاعتماد — أولا : على حساب المثلثات الذي يستعمله المهندسون في قياس بعد جبل — وثانيا : على المقارنة بين أوصاف النجوم وأقدارها واستخراج بعد المجهول بعده منها ، بالقياس الى بعد المعروف بعده منها ، وثالثا : على الاستعانة بالتصوير الضوئي « الفوتوغرافيا » وهما تعبير أفضل من تعبير « التصوير الشمسي » وأدق في أداء معناهما ، ورابعا : على المقابلة بين الخطوط في طيوف المجهول والمعروف بعده منها ، أو بها جميعا .

وفي العقد الثاني من هذا القرن ، كشفت طريقة « المتغيرات القيفاوية » فمهدت سبيلا جديدة لذرع الفضاء ، مساندة بذلك الطرائق السابقة . وأساسها وجود نجوم يتغير اشراقها تغيرا دوريا دقيقا ، فكأن كلا منها قلب كبير ينبض نبضا منتظما . وفترة النبض ثابتة للنجم الواحد ، وقد تختلف باختلاف النجم المتغيّر ، ولها صلة بقوة الاشراق . فاذا كنا أمام قيفاويين متغيّرين ، لهما فترة تغيّر واحدة ، وكان اشراق أحدهما البادي يفوق اشراق الآخر البادي مئة ضعف ، فالنتيجة الحتمية ان صحت هذه القاعدة ، أن أقلهما اشراقا يجب أن يكون أبعد من الآخر عشرة أضعاف . فاذا كان أحدهما في مجموعة من النجوم عرف بعدها عن الأرض بالوسائل السابقة ، أمكن استخراج بعد الآخر استخراجا دقيقا . ومن ثمّ أكبّ عدد من علماء الفلك عليها ، فطبقوها على نجوم ومجرّات كثيرة ، وأضافوا نتائجهم الى المتراكم من القياسات الكونية .

وثمة أنواع أخرى من القياس لا بدّ منها في استطلاع الكون وفحواه ، وفي طليعتها حرارة النجوم وأحجامها وكتلها . فنواميس الاشعاع المعروفة عند علماء الفيزياء ، تتيح لعلماء الفلك الفيزيائي تقدير درجة الحرارة على سطوح النجوم ، اذا كان لون النجم معروفا . ومتى عرفوا حرارة سطحه استطاعوا أن يقدروا شدّة اشعاعه ، وهذه المعرفة تمهّد لمعرفة حجمه وقدره المطلق . والقدر المطلق ينبيء بمقدار الطاقة الذي يشعه النجم كل ثانية . والحرارة تدل على مقدار الطاقة الشاعة من كل قدم مربعة في الثانية . والنسبة بين المقدارين تعطي مساحة سطح النجم ، فيفضي ذلك الى معرفة قطره .

والنجوم كما نعلم طبقات : النجوم العمالقة ، وبينها عمالقة فائقة ، ونجوم التتابع الرئيسي ، ومنها شمسنا ، والنجوم الأقزام . فحسبنا أن نذكر هنا بعض الأمثلة : بين العمالقة الفائقة نجم يدعى « الرجُل » في مجموعة الصياد أو الجبّار ، حرارة سطحه ثلاثة وعشرون ألف درجة فارنهايت (مقابل سبعة آلاف وخمس مئة للشمس) ، ويزيد نصف قطره على نصف قطرها اثنين وثلاثين ضعفا ، ويغلب أن كتلته تفوق كتلتها عشرين ضعفا . وبين نجوم التتابع الرئيسي « النسر الطائر » المشهور في الشعر العربي (الى الطائر النسر انظري في كل ليلة) . فحرارة سطحه أحد عشر ألف درجة فارنهايت ، ونصف قطره واحد وأربعة أعشار نصف قطر الشمس ، وكتلته واحد وسبعة أعشار كتلتها . أما في الأقزام فثمة « رفيق الشعرى » العجيب ، وحرارة سطحه تبلغ تسعة آلاف وأربع مئة درجة فارنهايت ولكن نصف قطره لا يزيد على أربعة وثلاثين في الألف من نصف قطر الشمس ، وكتلته — على صغر حجمه — تكاد تعدل كتلتها ، فكثافة مادته تزيد سبعة وعشرين ألف ضعف كثافة كتلتها ، وكل بوصة مكعبة من مادته تزن أكثر من طن .

بقي قول موجز — ككل ما تقدم — في قياس حركات النجوم وهي تتحرك ، مع اننا نصفها بالثوابت ، ولكنها لبعدها ، ولقصر حياتنا على الأرض ، لا نستطيع أن نتبين هذه الحركة ، كما نتبين حركة الكواكب السيارة . وبعض هذه النجوم يتحرك بسرعة مئة أو مئات من الأميال في الثانية . وهذه السرعة يمكن قياسها بعمل مقارنات دقيقة لمواقعها بين العام والعام . ومع ذلك فان أسرعها ، لا يبدو لبعده .. انه يتحرك مقدار درجة واحدة من القوس في ألف عام . ولولا دقة أدوات الرصد والقياس الحديثة ، وبخاصة الطيفية منها ، لما كانت ملاحظة هذا التغيّر في الموقع شيئا مستطاعا ■

صنع اليدين !!!

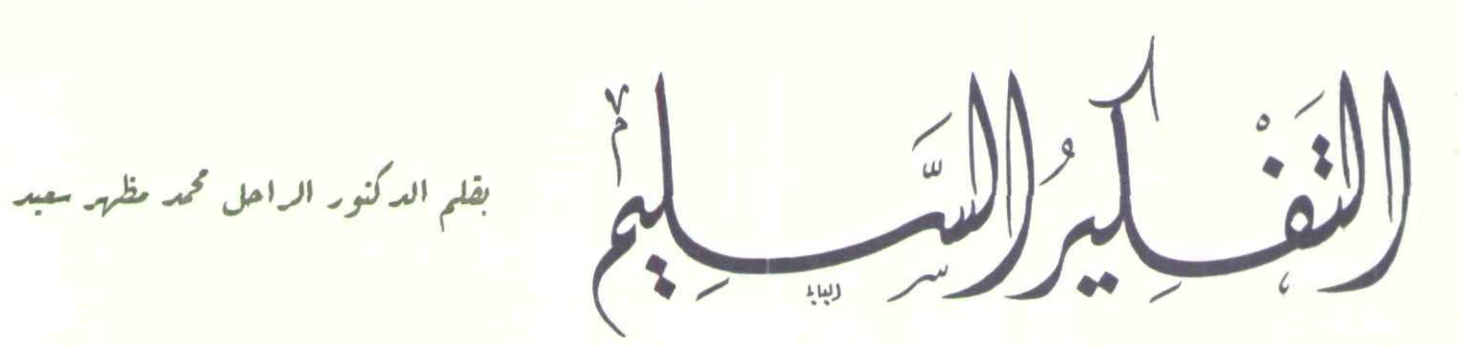
للشاعر أحمد ابراهيم الغزاوي

آمنت ، أني عشت دهري سادرا — وقضيت عمري ! شاهقا ، أو زافرا
وأصابني « التفكير » بالداء الذي — يجتثني – « فلذا » – ويعمق غائرا
لو أن لي « ولدا » اذن لنصحته — أن لا يكون – وان تفوق شاعرا
فالشعر ليس هو « القوافي » تجتبى — كلا !! ولا هو ما بدا – متنافرا
بل انه الدنيا ، وما وسعت به — شتى العصور ! مشاهدا ، ومخابرا
ولئن ترقرق ، أو ترفق هادئا — او ان تدفق ، أو تشقق هادرا
فلذاك منه – « قلبه » و « ذماؤه » — وسواد عينيه ... يذوب خواطرا
ويكاد في استغراقه يشتفه — ويريقه ، شجوا ، ودمعا مائرا
وتراه فيه – ذاهلا عن نفسه — وعن الوجود – مواردا ومصادرا
هيمان !! يقتنص الشوارد كالرؤى — وهي الظباء ! سوانحا ، ونوافرا
وكأنما هو « للأوابد » ظلها — يعدو ؟! ويلهث ناهضا ، أو عاثرا
ترمي به « أمواجه » في لجة — يطفو – ويرسب ، بينها متزاورا
فاذا نجا منها – وبرز ، لم يكن — يوما ليلقى ما أجاد «مظاهرا»
يشقى ! ويسعد غيره بنبوغه — وعليه تنقض الوحوش كواسرا
ويقال عنه : لقد أعاد مكررا — متعاظلا – متهافتا – متواترا
أما اذا أعيا به ادراكه — عما يحاول !! أو أغار مكابرا
فهناك – يصبح « مثله » يلهو به — من ليس يرحمه !! ويمسي خاسرا

وعقيدتي ، أن الشباب ، وان شأى — خير له – صنع اليدين – دخائرا
فيصح أبدانا ، ويهنأ عيشة — ويسود أقرانا ، ويصدح طائرا

ولقد تخللت « التجارب » مهجتي — ودمي ، وقلبي ، باطنا ، أو ظاهرا
فعلمت أن الاغتباط « بلادة » — وبها أغيظ ذوي النباهة – كاشرا
وبها الحياة تلذ ، وهي كريهة — والحظ يقبل .. حيث ادبر .. صاغرا
تلكم لمن يرجو النجاة وصيتي — وبها أمحضهم سلامي عاطرا





التفكير السليم

بقلم الدكتور الراحل محمد مظهر سعيد

عرّف المناطقة الانسان تمييزا له عن سائر الكائنات الحية بأنه الكائن الناطق الذي يعبر عن نفسه ويفهم ويتفاهم ، ويدرك ويفكر بلغة منطوقة ذات حروف وألفاظ وكلمات تنتظم في جمل مفيدة ، ينقل بها أفكاره الى الغير. وتفكير الانسان بالضرورة مرتبط بمستوى خبرته وثقافته وتعليمه ومدنيته وحضارته. فهناك تفكير بدائي ساذج وتفكير منطقي سليم . فالانسان البدائي والطفل والأبله والمعتوه يندفع كل منهم في تحقيق رغباته وحاجاته اندفاعا أعمى ، لأن غرائزه الأولية ، وانفعالاته الجامحة، ومطالبه الحيوية المادية تدفعه وتسيره كما تشاء دون أن يدرك بوضوح هدفه المنشود ، أو يتنبأ بالنتائج التي تترتب على سلوكه طريقا معينا . فهو لا يدرك شيئا غير الحاجة الملحة في الظرف الحاضر . اما الانسان المفكر فيدرك الموقف قبل الاندفاع في السلوك ، فينتفع من خبرة الماضي في اختيار أسلوب التصرف في الحاضر والتنبؤ بالنتائج في المستقبل . ويقدر لكل شيء قيمته النسبية . والانسان البدائي ، لضعف تفكيره ، يعتمد على الذاكرة والعلامات الطبيعية المألوفة في مواطن الخطر في بيئته التي يعيش فيها . أما الانسان المتمدين فبفضل تفكيره يستطيع أن يصطنع هذه العلامات التي يضعها هنا وهناك ، فتذكره مقدما بالعواقب ، فيسلك السبيل السليم .

ولكن كما أن الفكر وحده هو الذي يرفع الانسان فوق مرتبة الحيوان ، فهو كذلك قد يخطيء ويفسد وينزل به الى الحضيض . وقد نسب الفيلسوف « فرانسيس بيكون » أساليب الخطأ في التفكير الى مصادر أربعة أطلق عليها أسماء : القبيلة ، والسوق ، والمغارة ، والمسرح . وقد استعار هذه الأسماء من الأشياء الأربعة التي تتصل بحياة الانسان البدائي للدلالة على أخطاء التفكير والاعتقاد التي يكون أساسها الطبيعة البشرية ذاتها كنقص في الاستعداد الطبيعي وضعف في العقل ، والتي تنتج عن ضرورة الاجتماع والاختلاط وضعف اللغة ونقص المعلومات وتشويشها في الذهن وسوء تنظيمها ، والتي تتعلق بالفرد الواحد كمزاجه وخياله ومشاكله الخاصة ، والتي تكون نتيجة للتقاليد الاجتماعية والعرف والأمور السارية .

وكذلك قسّم الفيلسوف « جون لوك » الناس من حيث مستوى التفكير وأخطائه الى أقسام ثلاثة ، هي : فريق لا يحب أن يجهد نفسه في التفكير والتعليل فيكتفي بقبول أفكار الغير وآراءهم فيقلدهم. فاذا عبّر قلّد ، واذا ناقش اقتبس دون أن يكون له رأي خاص أو شخصية مستقلة . وفريق يخضع العقل للعاطفة ويصبغ تفكيره بلون مزاجه وهواه ، فلا يقبل رأيا معارضا لا يتفق وهواه ، ولا يستمع لقول ينفر منه مزاجه. وفريق يفكر لنفسه ولكن تفكيره محدود لقلة اطلاعه وخبرته وعدم اتصاله بالناس ، فيكون محصول عقله ضئيلا ومدى تفكيره ضيقا ، وهو يعتمد في الغالب على ما تلقنه وحفظه وهو صغير وتقبله دون مناقشة أو تفكير ، ويتحول حتى بعد بلوغ رشده ونضجه تراثا يحتفظ به ولا يقبل فيه جدلا ، ويصير في نظره فاصلا بين الحق والباطل لا يخطيء ، وقاضيا عادلا يحتكم اليه في كل خلاف ، ومقياسا يقيس به كل الأمور والمواقف . وأصحاب هذا الفريق هم ذوو العقول الضيقة أو المحدودو الذكاء ، وهؤلاء يقف مستوى تفكيرهم عند حد ثابت لا يتعداه مهما أصابوا من تعليم وتثقيف .

وهناك عوامل كثيرة أخرى تفسد التفكير ، حتى عند المتعلم والمثقف ، وأهمها :

- التسرع في الحكم قبل استقراء الحالات المحتملة والمماثلة ، والاستناد الى نقطة واحدة ، ومراعاة وجهة نظر خاصة ، والتعميم في حالات جزئية قد تكون على كثرة أمثلتها قلة اذا قيست بالحالات الأخرى . ويرجع هذا التسرع الى قلة المعلومات ، أو سرعة الملل، وعدم الصبر على استيعاب الموضوع . والناس في نقاشهم قد يبدأ كل منهم بنقطة معينة أو من وجهة نظر خاصة، ويفترض فرضا يخالف فروض الآخرين لمجرد المخالفة، فيصلون الى آراء متناقضة وأحكام تضيع بينها حقيقة الموضوع .
- التحيز الشخصي لكل ما يحقق المصلحة الخاصة الى جانب قبول ما يوافق نزعاته وميوله مما يغالط فيه نفسه أولا ، ثم يجادل لاثبات صحته، وهو يعتقد في قرارة نفسه أنه باطل ومحتمل التأويل ، ثم لا يلبث في عناد الجدال وحدته أن يستهوي نفسه بنفسه ، فيرى الخطأ صوابا ، أو يسلم بنظرية مبدئية قبل أن يتحقق من صحتها . وبهذا يقيد الانسان نفسه باتجاه معين ، فيضطر الى تحوير بحثه وتكييف نتائجه حتى يطابق هذه النظرية .
- ضعف الثقة بالنفس واعتقاد الانسان أن عقله يقصر عن تلمس حل مقبول للمشكلة ، لأن غيره من أصحاب الرأي الراجح عالجها قبله فلم يفلح .
- التردد في الرأي والتهيب من اصدار الحكم وعدم الاستقرار على حال رغم وضوح الحقيقة .
- وجود الانسان في وسط اجتماعي متحيز لتقاليده تحيزا أعمى .

والأساس الذي يقوم عليه كل تفكير في موقف أو مشكلة أو مسألة عقلية معقدة هو الفرض أي الفكرة التي يرى الانسان قبل دخوله في صميم الموضوع انها يحتمل أن تكون الحل أو النتيجة المطلوبة ، فيعمل على تحقيقها لاثبات صحتها أو بطلانها . فما من مسألة عقلية أو مشكلة علمية الا وأساس حلها الفرض ابتداء من الأمور العادية العابرة ، كعدم وجود الشيء في المكان المعتاد ، الى الظواهر الاجتماعية أو الاقتصادية كنقص في الانتاج ، الى الموضوعات العلمية المعقدة كاحتمال الحياة في الكواكب الأخرى . ولكن ليس كل فرض يخطر في بال المفكر فرضا منطقيا أو علميا مقبولا . فلأجل أن يكون الفرض وسيلة مقبولة من وسائل التفكير السليم يجب أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

* أن لا يكون خياليا يستحيل تحقيقه أو موكولا للصدفة العمياء التي قد لا تحدث ، كافتراض الفقير المعدم بأنه سيعثر على كنز ، أو افتراض حل مشاكله المالية بشراء ورقة يانصيب .

* أن لا يكون مخالفا للسنن الكونية والقوانين الطبيعية المسلم بها ، كامكان استخدام الكواكب الأخرى كوسيلة لحل مشكلة تزايد السكان . وقد تصلح هذه الفروض كمادة لقصة خيالية .

* أن لا يكون الانسان متأثرا برأي سابق أو بحل لمشكلة مماثلة أو حتى بنظرية لم تصل بعد الى مرتبة القوانين ، فكثيرا ما يظهر خطأ مثل هذه الآراء الفطرية بعد أن يكون الانسان قد تورط فيها وبنى عليها نتائج باطلة كتعاطي دواء نجح صدفة في شفاء حالة مرضية دون استشارة الطبيب .

* أن لا يسلم دون تفكير بآراء أشخاص ممتازين مبرزين ، وكانت هذه الآراء خارجة عن ميدان تخصصهم وامتيازهم .

* التمييز بين الاعتقاد العلمي الصحيح وبين المعتقدات التي نشأت في أساطير بدائية تداولها الناس جيلا بعد جيل ، حتى أصبحت عند العامة والشعوب البدائية حقائق لا تقبل الشك دونما دليل .

* الوصول بالفرض الى نتيجة عملية ، فقد يكون الفرض صحيحا ومنطقيا معقولا ومقبولا من كل الوجوه ، ولكن الظروف الحاضرة لا تسمح أو لا تمكن من تحقيقه ، كبدعة السفر الى الكواكب وحجز الأماكن لذلك من الآن .

ولا أدل على خطورة تجاهل هذه الشروط من أن الانسان قد ظل قرونا عديدة يفكر في أمور شغلت عقله ، وبذل في سبيل حلها وتحقيقها كل وقته وجهده وماله ، ولكنه انتهى من حيث بدأ ولم يتقدم خطوة واحدة ، لأن فروضه كانت تخالف شرطا من هذه الشروط ، كمحاولة الطيران بأجنحة صناعية ، وتحويل المعادن الخسيسة الى ذهب . ويرجع فشل الكثير من المدارس الفلسفية والخلقية والاجتماعية في تحقيق اتجاهاتها لأنها بنيت على فروض تخالف السنن الكونية وطبيعة البشر ، أو على الأقل طبيعة المجتمع الذي يراد تغييره .

والانسان يصل بتفكيره الخاص فيما يحيط به من مواقف ومشكلات عقلية وأمور غامضة ، أو بالتلقين وتلقي أفكار الأخيرين من سابقين ومعاصرين ، الى آراء وقواعد ثابتة يؤمن بصحتها أو فسادها ، ثم تتطور على مر الزمن وتقوى وترتكز حتى تصبح كالمعتقدات الراسخة التي يصعب نزع جذورها من تربة العقل ، وقد تستند هذه الآراء على أساس منطقي معقول وتعليل مقبول ، أو تكون فاسدة خاطئة لجهل صاحبها بموضوعها ونقص معلوماته وتشويشها فيما يتعلق بها ، أو لقصور عقله عن الوصول الى المستوى الذي يستطيع فيه تفسير المواقف والظواهر تفسيرا صحيحا ، أو لخضوعه لثقافة المجتمع السائدة ولذوي الأسماء البارزة المشهورة والنظريات الشائعة المعروفة ، أو لسيطرة التقاليد والمعتقدات القديمة الراسخة التي يتوارثها الناس جيلا بعد جيل من غير تعليل أو تحوير . والتفكير الصحيح السليم ، كما يقول الفيلسوف – « جون ديوي » – هو الذي يتصل بالمعتقدات الصحيحة وأسبابها ونتائجها ، وهو الذي يناقش على ضوء المنطق والتجربة . فالتفكير السليم اذن هو الذي توصي فيه الحقائق الصحيحة بحقائق أخرى تستند اليها ، وينتهي العقل بقياس هذه على أساس تلك وقبولها على أنها محتملة أو مرجحة التصديق ، أو رفضها على أنها خاطئة أو بعيدة الوقوع .

ولكن الكثير في آراء المثقفين والعامة ، على حد سواء ، يتضمن أمورا مقبولة شكلا دون أن تفحص أو يدقق فيها موضوعيا ، لأنها وصلت للعقل في الغالب بطريقة لاشعورية عن طريق الالتجاء والتقاليد والتلقين ، أو من مصادر غير مقطوع بصحتها . ومن هذه الآراء الفاسدة ما يستند الى أساس غريزي أو وجداني نسلم بصحته ونقبله ما دام يوافق نزعاتنا ورغباتنا ويولد في نفوسنا ارتياحا يؤدي الى السرور والطمأنينة ، وكذلك نرفض بشدة ودون تفكير ما يثير قلقنا ويخيفنا ويغضبنا ويحدث في نفوسنا شيئا من الألم أو عدم الارتياح ، ولو كان وراء هذا الألم الطارىء راحة مستقرة وفائدة مرجوة .

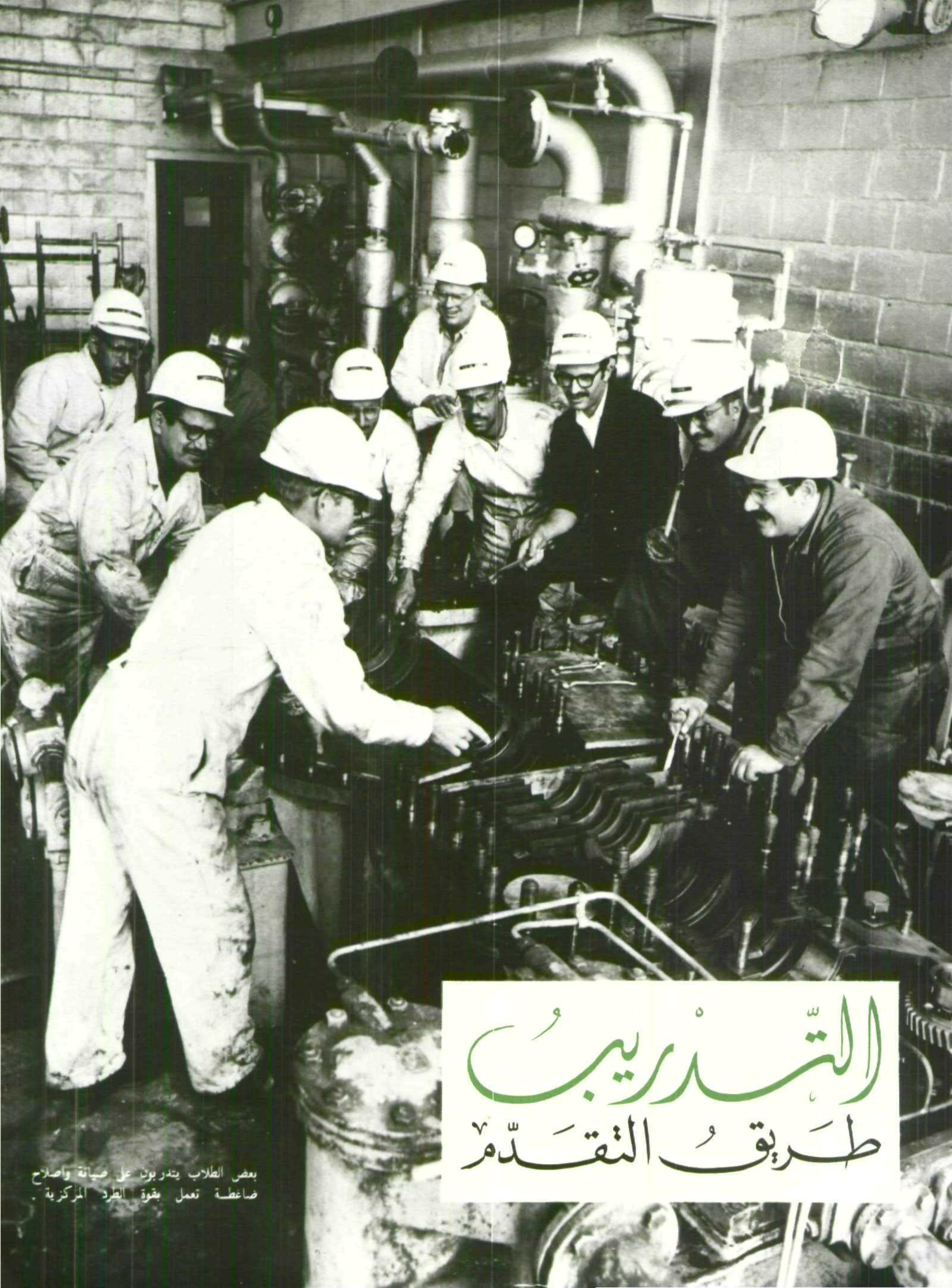
ومن الغريب أن الانسان المفكر يكون شديد التعصب لهذه الآراء السخيفة العريقة في القدم ، ويرفض الاقتناع برأي الغير ، ولو كانت الحجة سليمة ومنطقية . ولعلنا لا ننسى موقف كفار قريش من الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين . وكذلك موقف الأطباء من « باستير » عندما كشف عن الميكروبات .

وليس ضرر الرأي الواحد الفاسد يقتصر عليه وحده ، وانما هو يجعل الانسان يسلم بصحة آراء أخرى تتولد من هذا الرأي الأول ، كالقضايا المنطقية التي تكون كل خطوة من خطوات التفكير فيها صحيحة في ذاتها ، ولكن النتيجة فاسدة لفساد القضية الأولى . ويكون لهذا النوع من التقليد المتوارث صفة وبائية تنتشر بين الطبقات المتجانسة في الناس ، فتكتسب قوة وعنادا حتى يصعب على المصلح أن يقتلعه من جذوره كبعض معتقدات العامة في الطيرة وغيرها ..

لهذا ينادي الفلاسفة المحدثون ، ومنهم « لوك » بوجوب تمام العناية بالتفكير وتوجيهه وتنظيمه للبحث عن الحقيقة وصحة الحكم ومواطن الضعف والفساد فيه . ولهذا كان من أول وظائف التربية الصحيحة تكوين عادات قوية ومؤثرة وعميقة الجذور لتمييز الأفكار والمعتقدات التي يثبت صحتها بالمنطق والاختبار عن مجرد الآراء الفطرية والفروض الخاطئة والظنون ، وحماية المتعلم من النزعات الخاطئة الكامنة فيه ، كالتسرع وتفضيل ما يوافق النفس ويشبع الهوى .

وليست قوة التفكير بالملكة الموروثة الثابتة التي لا تتغير ، وانما هي عملية عقلية تكمن قوتها وسرعتها في مبلغ تنظيمها وترتيبها وبتهيئة الوسط المناسب والوسائل الصالحة لها حتى يمكن الانتفاع بها على أحسن وجه .

والاسلام يحض الانسان على أن يفكر في نفسه وفي ما حوله في أرجاء الكون ، ويتأمل جلال الله في مخلوقاته ، وبهذا يبني ايمانه على أساس من المعرفة اليقينية والتفكير السليم ■



التّدْريبُ
طَريقُ التّقدّم

بعض الطلاب يتدربون على صيانة واصلاح ضاغطة تعمل بقوة الطرد المركزية .

تتطلب صناعة الزيت كفاءات علمية وفنية عديدة ومتنوعة ، لما تنطوي عليه من أعمال متعددة الجوانب وغاية في التعقيد .

وقد كانت أرامكو في مستهل السنوات الأولى من بدئها أعمال التنقيب عن الزيت ضمن منطقة الامتياز في المملكة العربية السعودية تفتقر الى مهارات محلية تسند اليها مهام تشغيل مرافق الزيت وغيرها من الأعمال التي تتطلب كفاءات فنية . لذلك كان لا بد لها من اجتلاب المهارات الضرورية لتسيير أعمالها من الخارج مؤقتا ريثما تتوفر لديها كفاءات محلية تحل مكانها تدريجيا . ونتيجة لادراكها أهمية هذه الحقيقة ، فقد بادرت ، منذ وقت مبكر ، الى اقامة مراكز وورش للتدريب في مناطق عملها ، بالاضافة الى تبني برنامج للتدريب على الرئاسة والادارة ، وابتعاث بعض الموظفين لتلقي دراسات عالية خارج المملكة ضمن برنامج تطوير كفاءات الموظفين السعوديين وتنمية قدراتهم ومهاراتهم الى المستوى الذي يمكنهم من القيام بأعمال الشركة على اختلاف أنواعها ومستوياتها .

وقد ساعدت مراكز التدريب والورش على امداد الشركة بمثل هذه المهارات ، حتى غدت معظم مرافقها ومنشآتها تعتمد على المهارات المحلية في مختلف أعمالها .. وجدير بالذكر أنه كان للتحسن الذي طرأ على مراحل انتاج الزيت واطراد نمو ذلك الانتاج ، وظهور مشتقات جديدة من البترول ، أثر مباشر على تطوير المهارات المحلية . فمع كل مرحلة من مراحل الانتاج كانت الضرورة تقتضي استخدام معدات وأجهزة حديثة تتطلب لتشغيلها مقدرة فنية عاليـــة .

مراكز التدريب الصناعي

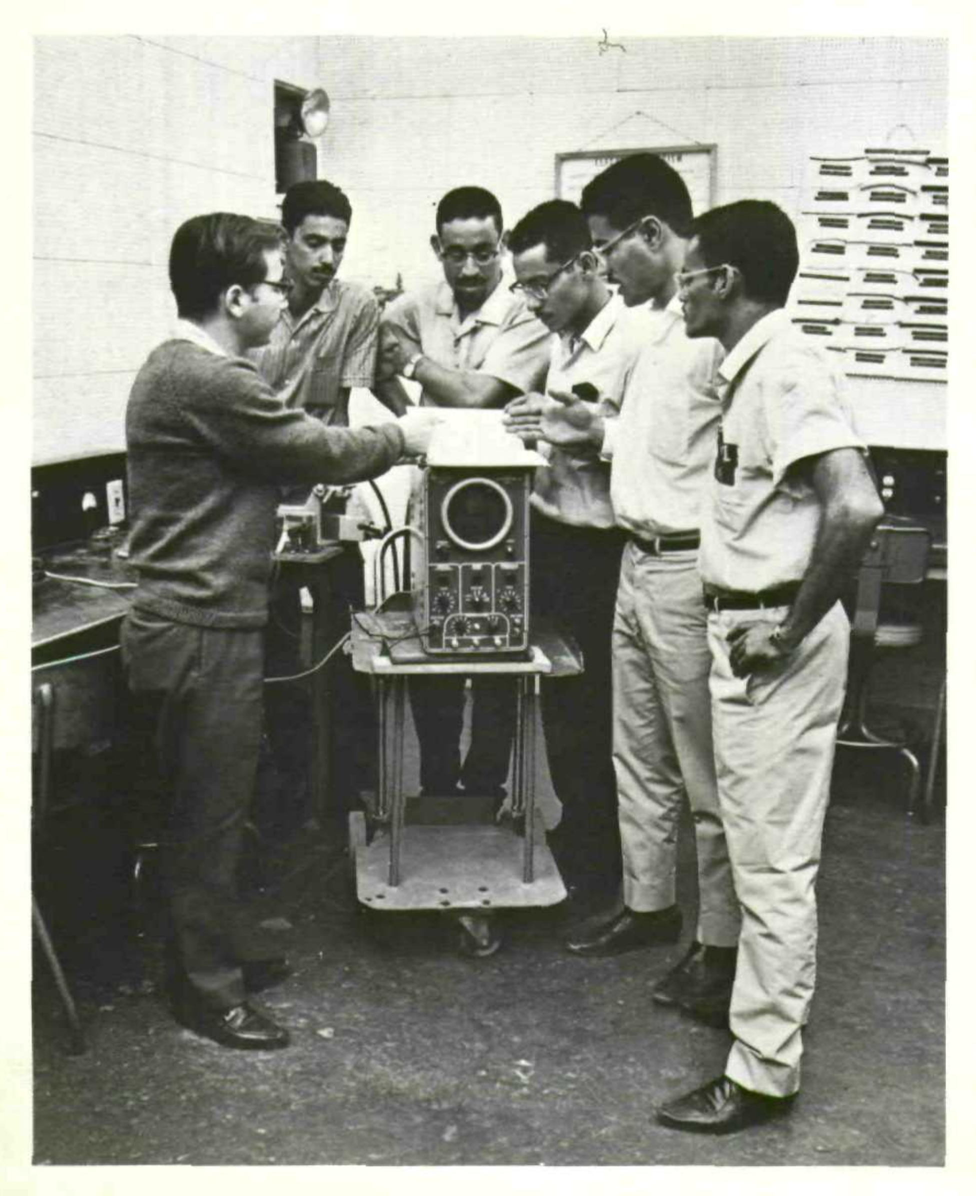
تقدم مراكز التدريب الصناعي دروسا في مواضيع نظرية وعملية ، منها : اللغتان العربية والانجليزية ، والرياضيات ، والعلوم ، والتاريخ ، والجغرافية ، وتقنية البترول ، والضرب على الآلة الكاتبة والمحاسبة بفروعها .

وقد بلغ عدد الملتحقين بصفوف مراكـــز التدريب الصناعي في العام الدراسي ١٩٦٩ — ٧٠ خلال ساعات العمل ٧٨٠ ، وبلغ عدد الملتحقين بها طواعية بعد ساعات العمل ٢٨٥ .

وتحوي مراكز التدريب الصناعي مختبرات حديثة لتعليم اللغة الانجليزية واخرى لتعلم الضرب على الآلة الكاتبة ، وقاعات لاجراء الاختبارات الفيزيائية والكيميائية ، عروض الأفلام العلمية والثقافية . كما تضم هذه المراكز مكتبات مزودة بالمراجع الأدبية والعلمية والثقافية باللغتين العربية والانجليزية .

ورش التدريب الصناعي

وقد تم تأسيسها في عام ١٩٥٨ لتتمشى جنبا الى جنب مع مراكز التدريب الصناعي من حيث تنسيق مواد التدريس والمناهج . ويبلغ عدد ورش التدريب أربع عشرة ورشة ، يقع معظمها في منطقة رأس تنورة ، ويتلقى الملتحقون بها دروسا نظرية وعملية في كيفية صيانة الآلات وتشغيلها ، وفي الكهرباء العملية ، وتشغيل المعامل ، وقراءة الخرائط الهندسية ورسمها ، والميكانيكا العامة ، وميكانيكا السيارات ، وأسس المهارة الفنية ، وصيانة الأجهزة الألكترونية ، وتشغيل أجهزة المراقبـــة



فصل الكهرباء العملية حيث يبدو بعض الطلاب أثناء استعمالهم آلة « الأوسيليسكوب » الخاصة بتحليل موجة التيار المتناوب .

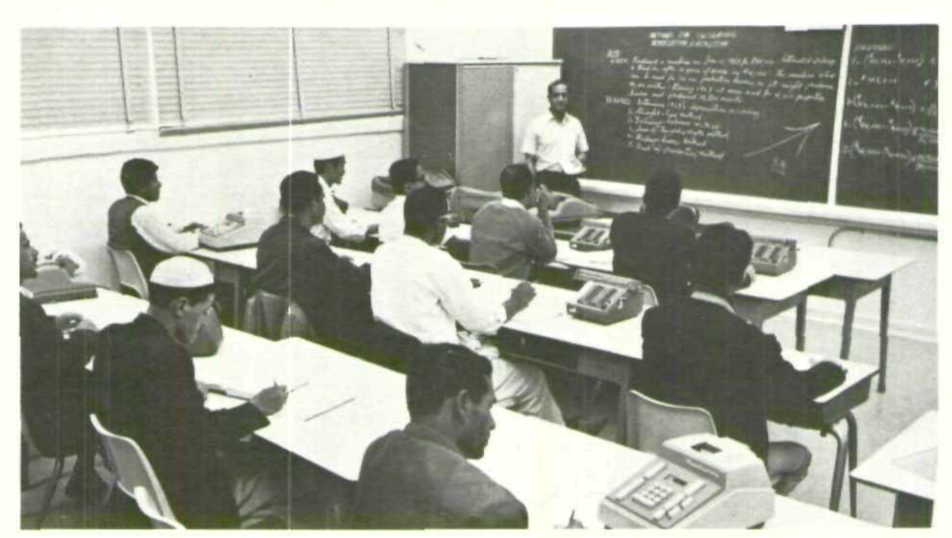
والضبط ، وصيانتها واصلاحها . وقد بلغ عدد الملتحقين بورش التدريب الصناعي في العام الدراسي المنصرم ١٥٠ موظفا .

التدريب على الرئاسة والادارة

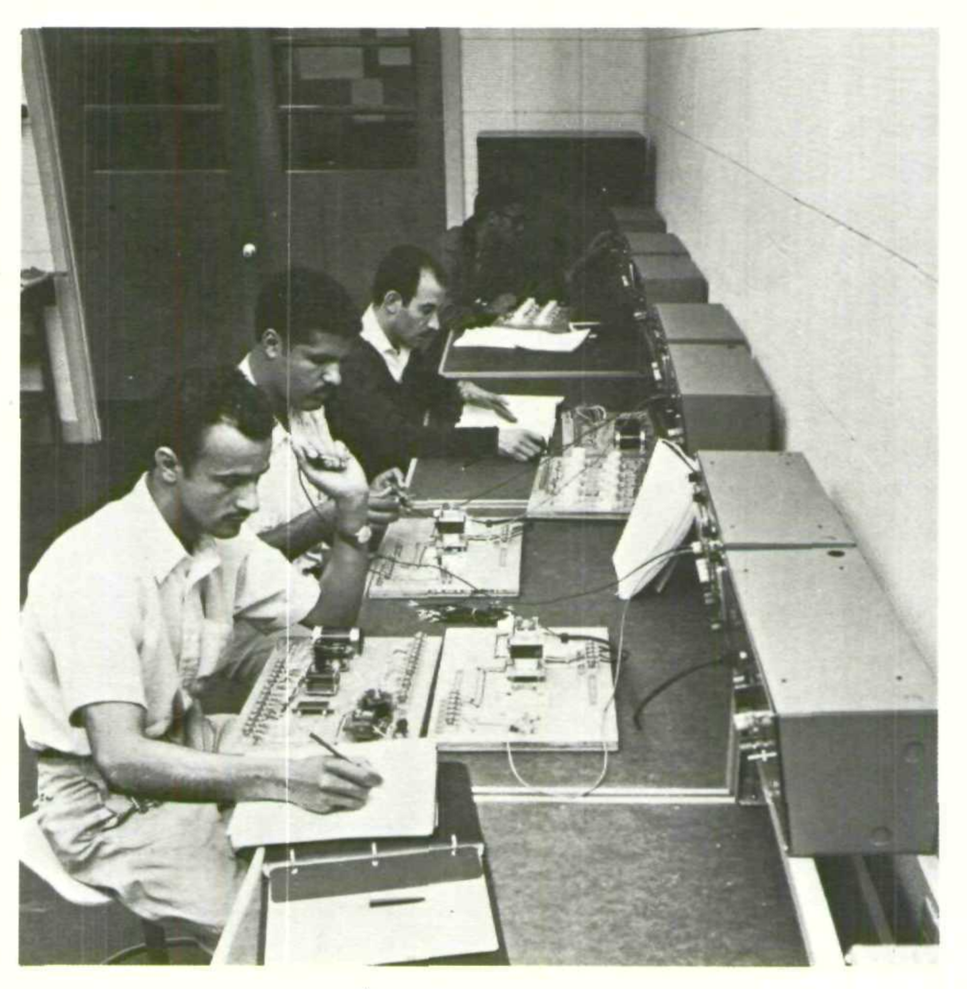
بدأت أرامكو بتطبيق برامج التدريب على الرئاسة والادارة منذ أوائل الخمسينات باشراف ادارة التدريب ، وذلك بعقد دورات رئاسية وادارية يشترك فيها موظفون يشغلون مناصب رئاسية ، ويتلقون خلالها تدريبا نظريا وعمليا في مقومات القيادة ، والتنظيم ، والتخطيط ، والاتصال ، والتدريب ، وشؤون الموظفين ، والسلامة ، ومتطلبات العمل ، وأساليب الرئاسة ، والسجلات والتقارير . كما تقوم الادارات المختلفة بانتداب بعض المسؤولين فيها لشرح نظم اداراتهم على المتدربين ، وإلقاء محاضرات تشمل مواضيع تتعلق بتنظيم ادارات الشركة .

وفي مطلع عام ١٩٦٧ اتجهت ادارة التدريب الى حصر برنامج التدريب على الرئاسة والادارة في دورة واحدة يتفرغ لها المتدرب مدة أربعة أسابيع ، يتولى فيها بعض رجال ادارة الشركة تدريب المشتركين على أساليب الادارة في مجالات شتى تتناول خطط الشركة وأسس تقدير كفاءات الموظفين والاشراف عليهم . وبلغ عدد من أكمل هذه الدورة في عام ١٩٦٨ من الموظفين العرب السعوديين ١٢٦ موظفا .

وبدأت ادارة التدريب في عام ١٩٦٨ برنامجا آخر لتدريب الموظفين على دراسة الأساليب الادارية ، باشراف الدكتور « روبرت بليك » رئيس شركة الأساليب العلمية الأمريكية ونائبته الدكتورة « جين موتن » وهما أخصائيان في العلوم الاجتماعية في جامعة تكساس . ويتألف هذا البرنامج من مرحلتين ، يتلقى المشتركون في المرحلة الأولى منهما تدريبا عمليا على حل المشاكل الادارية المعقدة عن طريق اجراء سلسلة من التجارب المبنية على أسس علمية . وفي المرحلة الثانية يقومون بتطبيق ما تعلموه من قواعد الادارة على مشاكل العمل الواقعية . وقد بلغ عدد المشتركين من السعوديين في هذا البرنامج ٤١٠ موظفين في نهاية عام ١٩٦٩ .

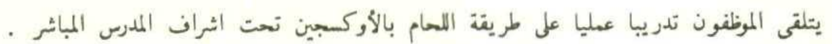


اساليب الحساب التجاري ومسك الدفاتر من المواضيع التي يتلقاها طلاب مراكز التدريب الصناعي .



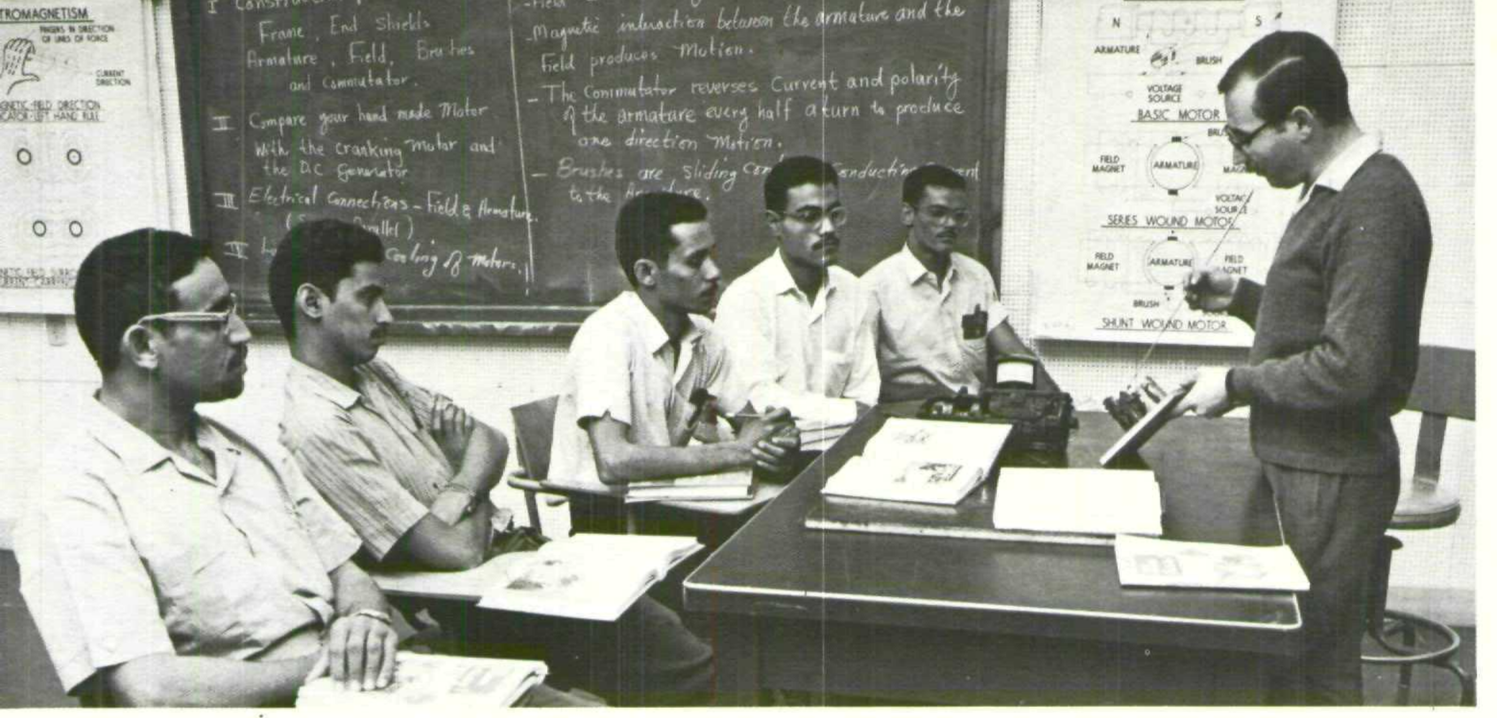
يدون طلاب فصل الكهرباء التطبيقية ملاحظاتهم أثناء تجربة قاموا بها .

منظر عام لأحد مباني مراكز التدريب الصناعي .



يتلقى الموظفون تدريبا عمليا على طريقة اللحام بالأوكسجين تحت اشراف المدرس المباشر .

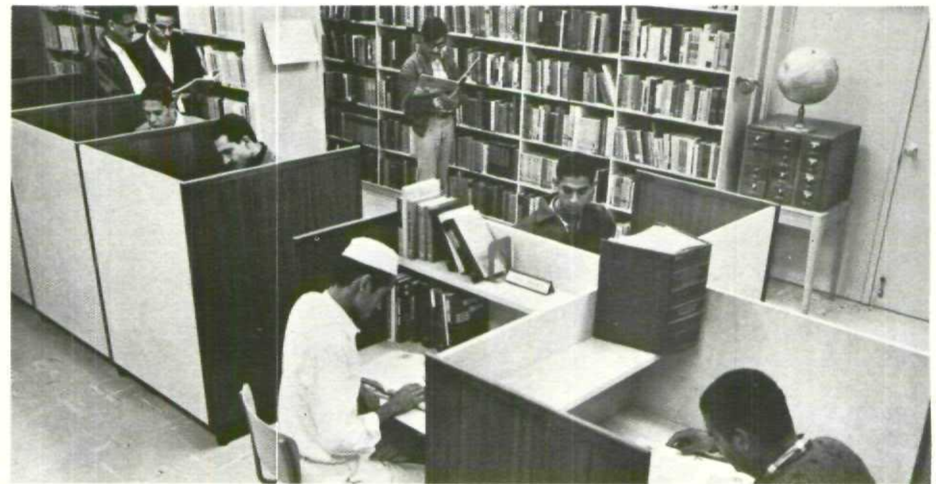




يجري هذا المدرس مقارنة بين محرك كهربائي من صنع طلاب فصل الكهرباء العملية والمحركات المستعملة في مختلف المجالات الصناعية .



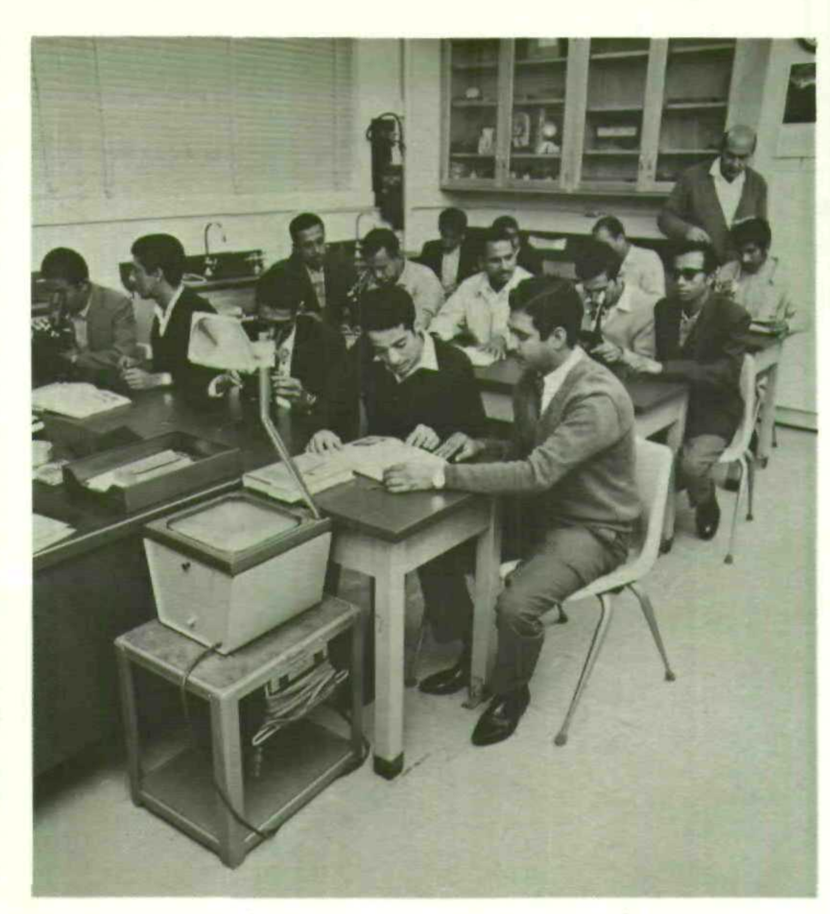
يقوم المدرس باجراء تجربة أمام طلاب فصل الآلات الألكترونية الدقيقة .

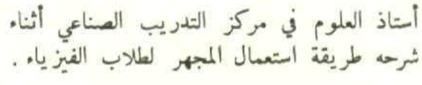


جانب من مكتبة مركز التدريب الصناعي حيث يستذكر الطلاب دروسهم في جو هادىء .



طالب في فصل الرسم المهني يقوم بعمل أحد التصاميم .




أستاذ العلوم في مركز التدريب الصناعي أثناء شرحه طريقة استعمال المجهر لطلاب الفيزياء .



يتلقى الطلاب دروسا في اللغة الانجليزية في مختبر اللغات التابع لأحد مراكز التدريب الصناعي .

برنامج تطوير كفاءات الموظفين السعوديين

ويهدف هذا البرنامج الى اختيار الموظفين العرب السعوديين ذوي الامكانات العالية لتدريبهم بدقة وعناية بغية الانتفاع من كفاءاتهم ومؤهلاتهم . وتتعاون ادارة التدريب مع الادارات الأخرى في اختيار مثل هؤلاء الموظفين ، لتتولى لجنة تطوير كفاءات الموظفين السعوديين أمر الاشراف على مراحل تقدمهم وتهيئتهم وفق الخطة التدريبية المرسومة . والخطوة الأولى في هذا البرنامج هي التأكد من أن الموظف الذي تم اختياره قد تلقى كل ما تهيئه الشركة من تدريب ضروري يؤهله لشغل وظيفة أساسية . وفي نهاية عام ١٩٦٩ كان عدد المشتركين في هذا البرنامج ٧٢٢ موظفا .

برنامج التدريب خارج المملكة

هو التدريب الذي يتم خارج المملكة العربية السعودية لدى احدى الشركات الصناعية الكبرى أو في المدارس أو المعاهد المهنية الخاصة أو في الكليات والجامعات . ويشمل هذا البرنامج عادة الموظفين المشتركين في برنامج تطوير كفاءات الموظفين العرب السعوديين ممن أحرزوا تفوقا في مواضيع الدراسة المقررة في مراكز وورش التدريب الصناعي ، وكان لهم في العمل سجل ناجح . ويتبع كل من هؤلاء الموظفين في دراساته برنامجا تعليميا أحكم وضعه لتزويده بأسس ثابتة في ناحية فنية معينة من صناعة الزيت أو أساليب ادارة الأعمال العصرية أو في التعليم أو الثقافة الصحية العامة أو المحاسبة أو الألكترونيات أو أعمال الحفر أو مكافحة الحرائق أو السلامة أو التخطيط لأعمال التكرير وغيرها من المواضيع .

وبلغ عدد الموظفين السعوديين الذين ابتعثوا الى خارج المملكة منذ بدء هذا البرنامج حتى نهاية يونيو من العام الحالي ٤١٦ موظفا .

وبفضل برامج التدريب المختلفة أصبح الموظفون العرب السعوديون الذين يمثلون حوالي ٨٥ في المائة من مجموع عدد موظفي أرامكو يشغلون أكثر من ٣٧ في المائة من الوظائف الرئاسية والادارية في الشركة والبالغ عددها ٥٧٣ وظيفة .

تلك هي برامج التدريب التي تتبناها الشركة لتتيح لجميع الموظفين العرب السعوديين فرصة التقدم في مختلف الوظائف ومجالات العمل الأخرى ■

تصوير : سعيد الغامدي

سليمان نصر الله

الدكتور زكي نجيب محمود
حول مفاهيم نقدية جديدة



اجراه الاستاذ ابو طالب زيان

ليس من المبالغة ، أن يكون الدكتور زكي نجيب محمود من رواد نهضتنا الفكرية : علما وأدبا وفلسفة ، بما ألف ، وبحث ، وحاضر ، وان جنح الآن الى النقد الأدبي ، بمضامينه الواسعة ، ومفاهيمه المتعددة ، التي وقفت على امتداد ثقافته ، وشمول نظرته ، تفيض على الأدب والأدباء .

على أنني لا أدعي الآن تقييم مفاهيمه للنقد الأدبي ، أو تحليل وجهة نظره ، الا من الزاوية التي تحدثت فيها اليه ، وهو الى مكتبه : يملي منفعلا ، كما لو كان يقرأ من كتاب . قلت له :

— يوثر نقاد الأدب ، المذاهب قبل الأعمال ، على الرغم من عدم تقيد كثير من الأدباء بمذهب أدبي معين ، فهل يجوز للناقد أن يفرض مذهبه النقدي على أعمال كل أديب ؟

— في رأيي أن النقد الأدبي ، مهما تعددت مذاهبه، فهو في صميمه ضرب من تحليل النص المنقود وشرحه من زاوية يختارها الناقد . فهنالك من النقاد من يختار لتحليله جانب اللغة التي استخدمها الأديب ، ومنهم من يختار جانب التحليل النفسي الذي يرد القطعة الأدبية الى دوافعها الخافية في أعماق صاحبها، ومنهم من يختار الجانب الاجتماعي، فينظر خلال القطعة الأدبية ليستشف ظروف البيئة التي أحاطت بها ، وهكذا .

ومن ذلك يتبين ما يأتي : فيما يختص بما يثيره هذا السؤال :

أولا : ليس بين مختلف النقاد « تناقض » بالمعنى الذي تحدده هذه الكلمة . اذ التناقض انما يكون بين حكمين ، اذا صدق أحدهما تحتم أن يبطل الآخر ، كأن يقول شخص عن تركيب لغوي معين انه صحيح بالنسبة لقواعد اللغة العربية ، فيقول آخر عنه بل انه غير صحيح . ومثل هذا الموقف ليس هو ما نراه بين النقاد الذين يتناولون القطعة الأدبية من زوايا مختلفة ، فالناقد الذي يختار جانب التحليل اللغوي ، لا يناقض الناقد الذي يختار جانب التحليل النفسي ، وانما يكمل أحدهما الآخر ، ومن ثم فلا يجوز القول بأن المذاهب النقدية يصارع بعضها بعضا ، لأن بعضها انما يتهم بعضها الآخر في القاء الأضواء من زوايا متعددة على القطعة المنقودة .

وثانيا : ان الأولوية في عملية النقد هي للقطعة الأدبية نفسها ، اذ ما دام النقد في صميمه شرحا وتوضيحا من هذه الزاوية أو تلك ، فلا بد أن ينصب الشرح والتوضيح على كتاب بعينه أو على قصيدة بذاتها . ومن هنا فان النقاد الذين يطنطنون بمذاهب نقدية مجردة ، انما يتحدثون في غير موضوع ، وان خيل اليهم خلاف ذلك .

وثالثا : ما دام النقد تحليلا لقطعة أدبية ، فمن الواضح أن يجيء الأديب في الترتيب الزمني قبل الناقد، ومن هنا فان الأدب هو الذي يوجد النقد وليس النقد هو الذي يوجد الأدب ، والا فهل يجوز القول بأن العدسة التي تحلل الضوء الى عناصره، هي التي تخلق الضوء الذي تحلله ؟

ولذلك فلست أعتقد أن أديبا كبيرا في أي جزء من أجزاء الدنيا ، وفي أي عصر من عصور التاريخ ، قد بناه ناقد ، وانما يستطيع الناقد — على أحسن الفروض — أن يؤثر في أدباء الدرجات الدنيا ، لأنه اذ يبين لهم عناصر الأدب الرفيع ، يهيء لهم طريق المحاكاة والتقليد .

وهنا كان لا بد لي أن أستوضح الخطوط النقدية العريضة ، التي تشغل الأدباء والمفكرين ، دون تحديد لكنهها ، ومعرفة لاتجاهاتها ، وان كانت في واقعها ترتكز الى احدى الدعامتين الأساسيتين في المفاهيم النقدية ، وهما : العلم والذوق ، فسألته :

— هل يقوم النقد الأدبي على الذوق ، أم على العلم ؟ بمعنى هل يمكن للنقد الأدبي أن يكون علما موضوعيا ، يتفق الجميع على خطوطه المنهجية ، وان اختلفوا في أساليب التطبيق ؟

— لكي نفهم الموقف بوضوح ، يجمل بنا أن نراجع الخطوات التي يخطوها الناقد في عملية النقد ، فهو بادىء ذي بدء يقع على قصيدة من الشعر أو على قصة ، أو على ما شئت من نتاج الأدباء ، ثم يقرأها ، وها هنا تراه اما محبا لما يقرأ أو كارها له ، أعني أنه ها هنا يعمل ذوقه الخاص قبولا أو رفضا ، لكنه اذا ما فرغ من قراءته المتذوقة هذه ، لم يكن قد بدأ بعد عملية النقد الفعلي ، لأنه ربما فرغ من قراءته وألقى بما قد قرأ في ظلام النسيان ، لم يحمل قلما ولم ينشر أمامه ورقا ، ولم يكتب للناس حرفا تعليقا على ما قـــد قرأ . وعندئذ يكون هو قد تأثر تأثرا ذاتيا ، يكتفي به ، لكن يظل الناس على غير علم بشيء مما دار في خلده.

أما اذا حمل الناقد في يده القلم ، ونشر أمامه الورق ، وأخذ يسأل نفسه : ماذا في هذه القطعة الأدبية قد أثار في نفسي ما أثاره من اعجاب أو من نفور؟ هنا تراه يحلل ويعلل ، والتحليل والتعليل عمليتان عقليتان ، أي أنهما جانبان من أي منهج علمي مهما كان موضوع العلم . افرض — مثلا — أنني ناقد أختار أن يقف من القطعة المنقودة عند طرائق تركيباتها اللغوية وأساليب بنائها للصور الذهنية ، فهل يمكن أن تعتمد هذه التحليلات على مجرد الذوق ؟ أو أفرض مثلا : أنني اخترت أن أتعقب سلوك شخصية وردت في قصة أو في مسرحية ، أتعقبه الى دوافعه النفسية ، فهل يمكن أن يجيء هذا التعقب مرتكزا على مجرد الذوق ؟ انني في الحق لا أتصور كيف يكون هذا عند من يزعمونه .

فالذين يترددون بين أن يكون النقد الأدبي ذوقا أو علما ، انما هم في واقع الأمر يخلطون بين قراءتين متتابعتين يجتازهما الناقد : قراءة أولى للقطعة الأدبية تؤدي به الى حب أو الى نفور ، وتلك مرحلة كل ما فيها تذوق صرف ، لكن الى هنا لا يوجد نقد ، وقراءة ثانية تؤدي بالناقد الى تحليل القطعة المنقودة من الزاوية التي اختارها ، وتلك هي مرحلة النقد ، واذن فهي مرحلة مطبوعة بالطابع العلمي من حيث المنهج ، لأنها مرتكزة على تحليل وتعليل .

ولما كان الدكتور زكي نجيب محمود ، يهتم الاهتمام كله بوجود علاقات على مستوى معين ، بين الفلسفة الجمالية والنقد الأدبي ، ولا سيما فيما يتجلى واضحا في الانفعالات الأدبية ، والمذاهب النقدية العديدة ، التي يحلو لبعض النقاد أن يركن الى اغفالها ، فقد أردت توضيح هذا المفهوم الجمالي ، بمعنى التقيد بفلسفة جمالية بذاتها في العمل الأدبي .

قلت لــه :

— بوصفك فيلسوفا وناقدا أدبياً ، معا ، هل ترى علاقة بين النقد الأدبي ، وفلسفة الجمال ، بمعنى هل لا بد للناقد الأدبي أن يكون دارسا لفلسفة جمالية معينة ؟

— الفرق بين النقد الأدبي والفلسفة الجمالية ، هو فرق في درجة التعميم ، فما دمنا قد قلنا أن عملية النقد هي ضرب من التعليل ، فنحن اذن بمثابة من يقول : ان الناقد يحاول أن يرد الجزيئات التي يراها في القطعة الأدبية الى علة عامة تفسرها ، فماذا يصنع الفيلسوف الجمالي ؟ انه لا يكتفي بالنظر الى قطعة أدبية معينة ، بل هو لا يكتفي بالنظر الى الأدب كله والى ما فيه من العناصر التي تؤدي به الى أن يكون مقبولا محببا ، وانما هو يمد رقعة بصره الى سائر الفنون أيضا ، من موسيقى وتصوير وعمارة ، ليرى : هل هناك مبادىء عامة تنطبق على كل فن جميل مهما يكن نوعه ، وماذا عساها أن تكون ؟ ماذا وقع على أمثال هذه المبادىء العامة ، كان بذلك فيلسوفا جماليا . افرض مثلا أنه وجد نقاد الأدب ونقاد الموسيقى ونقاد التصوير ونقاد العمارة ، قد أجمعوا — كل في مجاله الخاص — على أن سر الجمال الفني هو في طريقة التكوين ، لا في المضمون الذي يملأ ذلك التكوين ، فعندئذ ترى الفيلسوف الجمالي ينتهي الى أن المبدأ العام في جمال كل ما هو جميل ، هو « الصورة » لا « المادة » . وانه بقدر ما في الأثر الفني من « صورة » يكون فيه من جمال. أو افرض أنه وجد أن نقاد المجالات الخاصة قد أجمعوا — كل في مجاله الخاص — على أن المعول عليه في جمال الجميل هو « المنفعة » الفردية أو الاجتماعية ، فان ذلك يكون هاديا للفيلسوف الجمالي في وقوعه على المبدأ العام. ولا يغير من جوهر الموقف أن يحدس الفيلسوف مبدأه العام أولا ببصيرته النافذة ، ثم يهبط منه الى مجالات التطبيق ليؤيده ، أو أن يستعرض الثقافات الفنية أولا ليصعد منها الى المبدأ العام . المهم في السؤال المطروح ، هو العلاقة بين النقد الأدبي والفلسفة الجمالية ، وفي هذا نعيد القول بأن الفرق بينهما هو فرق في درجة التعميم .

وأما أن يتعين على الناقد دراسة الفلسفة الجمالية أولا يتعين عليه ذلك ، فسؤال يرد على نفسه بنفسه ، اذ أنه في هذه الحالة وفي جميع الحالات ، يعين المبدأ العام دائما على رؤية الطريق ■

أدب الصحافة

كانت الصحافة قديما منطقة من مناطق نفوذ الأدب ، فكان الأدب الصحفي بمثابة « محمية » من محميات الأدب العام ، فلا يلوذ بالصحافة الا أديب . ان أشهر الصحفيين العرب في القرن التاسع عشر ومشرق القرن العشرين كانوا أدباء ، فالمويلحي مؤسس صحيفة « نزهة الأفكار » في مصر كان أديباً أولا ، وصحفياً ثانياً . وعبد الله النديم الصحفي الأول في الثورة العرابية كان شاعراً وزجالا وكاتب مسرحيات ، ثم اشتغل بالصحافة ، ثم عاد أديباً . بل ان أول صحيفة يومية أنشئت في مصر سنة ١٨٦٧ ، وهي جريدة « وادي النيل » ، قد أنشأها محمد أبو السعود الذي كان أول أمره أديباً يشتغل بالترجمة في ديوان الحكومة . وحتى بعد أن حققت الصحافة أولى السمات الصحفية البحتة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم تكن مقالاتها الافتتاحية ، وهي أهم ما فيها ، الا قطعاً من الأدب .

ولقد ظلت سمات الأدب تظلل الصحافة العربية ، بعد أولى خطوات التطور الفني في الصحافة الى أجيال أخرى ، فمثلا كان رؤساء تحرير « الأهرام » على التوالي : خليل مطران ، داوود بركات ، أنطون الجميل ، وكان ثلاثتهم من فطاحل الأدباء الذين ينتمون الى أصل لبناني . بل لقد كان من أبرز ما تنشره الصحف في صدرها الى نهاية الجيل الأول من القرن العشرين قصائد كبار الشعراء ، فكانت قصائد أمير الشعر أحمد شوقي تحتل أحياناً مكان المقال الافتتاحي في كبرى الصحف .

وفي سورية كان من أبرز ما تنشره الصحف مقالات الكواكبي ، وهو مفكر أديب . وفي لبنان كانت مقالات المفكر الأديب الأمير شكيب أرسلان لها الصدارة فيما تنشره الصحف .

الواقع أن « الصحافة » لم تظهر في الوجود الا لكي تكون « بلاغاً » للناس ، ومن المعروف أن مهمة « التبليغ » كان يتولاها الأدباء عامة ، والشعراء منهم بصفة خاصة . ومن المعروف أيضا في التاريخ ان الأدباء البلغاء هم الذين كانوا يؤدون دور الصحفيين . وفي الحرب العالمية الأولى ما بعد سنتي ١٩١٤ و ١٩١٨ جندت بريطانيا رجال الأدب للقيام بصياغة البلاغات الحربية الصحفية .

فالصحافة ، اذن ، كانت في بدايتها اقليما في القارة الأدبية ، ومع تطور الزمن وظهور حركة « القوميات » ظهرت حركة استقلال الصحافة عن امبراطورية الأدب ، لكن هذا الاستقلال لم يستطع أن يقضي نهائيا على ما في المادة الصحفية من أدب نستطيع أن نسميه « أدب الصحافة » .

مرحلة الحضانة

ان تاريخ الأدب هو الذي يستطيع أن يبين لنا ما هي الفواصل الجديدة بين الأدب والصحافة لكن تاريخ الصحافة هو الذي يبين لنا كيف استقلت الصحافة بأدبها ، وكيف تطور هذا الأدب .

لقد كانت الصحافة عند نشأتها الأولى صحافة رسمية ، لأنها كانت تصدر عن مراكز القوة ، « فالوقائع » ، أول صحيفة مصرية كانت تصدر عن ديوان الوالي للقيام بوظيفة « البلاغ » بين الحاكم وأعوانه ثم بين الحاكم وعامة الشعب . أي ان الصحافة في مرحلة الحضانة من تاريخها كانت مجرد بلاغات رسمية أو شبه رسمية لحفظ النظام . ولم يكن مسموحاً في بداية هذا التاريخ لغير الحاكمين أن يصدروا صحفاً .

فنون الصحافة في الأدب

كيف تغيرت الأوضاع في تاريخ الصحافة ؟

لكي نجيب عن هذا السؤال ينبغي أن نضع أمامنا المبدأ القائل بأن « الصحافة والرأي العام صنوان » .. فحين تغير الرأي العام انتقلت الصحافة من مرحلة الهمس الى مرحلة الصوت المسموع . وعندئذ ظهرت في تاريخ الصحافة ارادة التغيير .

ففي مصر نرى أن المطالبة بوضع الدستور لأول مرة سنة ١٨٦٦ كانت مصحوبة بطلب أول ترخيص لاصدار أول صحيفة سياسية شعبية ،

بقلم الاستاذ حافظ محمود

وهي صحيفة « وادي النيل » التي أشرنا اليها .

لقد صدرت صحيفة « وادي النيل » في يوليو سنة ١٨٦٧ ، لكننا حين نراجع أعدادها الأولى نجد أنها لا تكاد تعقب أو تعلق على الأنباء والأحداث الا في الحدود شبه الرسمية .

وفي أخريات القرن التاسع عشر وأوليات القرن العشرين بدأ الحجاب التقليدي يزايل أدب الصحافة العربية ، وبذلك أخذ الأدب الصحفي أشكالا أخرى غير التي كانت تعنى بها صحف الماضي ، وان ظلت فنون الأدب منبثة بين فنون الصحافة بصور أخرى ..

ففي أدب الصحافة غزل ... لكنه غزل بين دولة ودولة أو بين سياسة وسياسة .

وفي أدب الصحافة هجاء ... لكنه هجاء من طائفة لطائفة .

وفي أدب الصحافة مديح ... لكنه مديح لأنظمة اجتماعية أو أنظمة في الحكم .

وفي أدب الصحافة رثاء ... لكنه رثاء للضحايا .

وفي أدب الصحافة تهاني ... لكنها تهاني موجهة الى المنتصرين في مختلف الميادين .

وفي أدب الصحافة وصف ... لكنه وصف للأحداث العامة .

مقومات أدب الصحافة

ان أدب الصحافة ، كالأدب العام ، فيه الى جانب الفنون العامة فنون خاصة نستطيع أن نجملها في أربعة :

أدب الأسلوب . وأدب الموضوع ، وأدب التقاليد الصحفية ، وأدب التحقيقات الصحفية .

ويلتقي أدب الأسلوب مع أدب الموضوع بالنسبة لأدب الصحافة في خمس نقاط :

- اختيار المقال الافتتاحي .
- منتخبات الصفحات الأخيرة أو الصفحات الثقافية .
- التحقيقات الصحفية التي تتضامن في أسلوبها مع أساليب القصص والروايات .
- التعليقات اليومية القصيرة .
- طريقة عرض الخبر الهام على القراء .

وهنا لا بد من الربط بين الأسلوب الصحفي وبين شخص الصحفي نفسه .. ذلك أن الصحفي هو أسلوبه ، واختيار الموضوع انما يرجع الى شخصية الصحفي ، وبيئته ، وثقافته ، ومواهبه الخاصة ، واهتماماته العامة ، والمركز الصحفي الذي يشغله ، والجهة التي تكلم باسمها ، والجمهور الذي يخاطبه .

ولأسلوب الصحفي مقومات لا بد من دراستها ، ومن هذه المقومات : وطن الصحفي ، وما لهذا الوطن من صفات الاستقلال أو الكفاح أو الظروف الاجتماعية .

هذه المقومات العامة الى جانب المقومات الخاصة لأدب الصحفي هي التي تبرز الفارق بين كاتب صحفي وآخر . فقد يتناول كاتبان صحفيان موضوعاً واحداً .. لكنك تلمح بسهولة الخطوط الفاصلة في فكرة الموضوع بين هذا وذاك ، وهي الخطوط التي تترتب على المقومات المختلفة بالنسبة لكل منهما .

وكما أن للأدب العام تقاليده ، كذلك للأدب الصحفي تقاليده أيضاً ، وأبرز تقاليد أدب الصحافة هي :

تجنب الاعتبارات الشخصية في النقد قدر المستطاع ، وحماية حق الرد لمن يصيبه النقد بأذى ، وتحري الحقائق واثباتها دون أي مؤثر يتنافى مع شرف مهنة الصحافة أو الشرف العام .

هذه التقاليد الأساسية في أدب الصحافة كانت موضع اهتمام دارسي الصحافة في العالم كله . ولقد أخذ الصحفيون العرب زمام المبادرة في تسجيل هذه التقاليد على المستوى الدولي ، بأن تقدم الصحفي المرحوم الدكتور محمود عزمي ، ومعه زملاؤه العرب ، الى لجنة الشئون الاجتماعية في الأمم المتحدة خلال دورة سنة ١٩٥٠ بمشروع « ميثاق الشرف الصحفي » الذي أقرته اللجنة ، ثم أحالته الى الجمعية العامة للتصديق عليه . الا أن الجمعية العامة قد علقت هذا التصديق بشرط اقرار هذا المشروع من منظمة دولية عامة للصحافة . ولما كانت المنظمات الصحفية الدولية قد انقسمت الى شرقية وغربية ، فقد ظل هذا المشروع معلقاً .

وازاء هذا الموقف انعقد بالقاهرة في ابريل سنة ١٩٥٣ أول مؤتمر للصحفيين العرب ، وتبنى هذا الميثاق على المستوى العربي .

مدارس الأدب الصحفي

وليس من شك أن أدب الصحافة لا ينبع فقط من المواثيق ، انما ينبع هذا الأدب ومواثيقه من طبيعة العمل في الحقل الصحفي . فالصحفيون هم الذين يرسون فيما بينهم تقاليد أدبهم ، وهي التقاليد التي ظهر منها الكثير ، وما يزال منها ما هو بحاجة الى التركيز .

ومعنى هذا أن الشخصيات الصحفية هي التي يعتمد على أساليبها في اقامة دستور الأدب الصحفي . وفي هذا المجال نستطيع أن نقسم الصحفيين الى مدارس ذات طوابع وفاعلية في أدب الصحافة ، ففي تاريخ الصحافة المصرية — مثلا — نجد ثماني مدارس :

- مدرسة عبد الله النديم .. وهي المدرسة التي كانت تعالج الأوضاع الاجتماعية بالنكتة والنقد اللاذع .
- مدرسة الشيخ علي يوسف .. وهي المدرسة التي كانت تمثل الجانب العصامي في خلق شخصية الصحفي وخلق أسلوبه .
- مدرسة مصطفى كامل .. وهي المدرسة التي قدمت أدب الصحافة التي تمثل تطلعات الأمة
- مدرسة عبد القادر حمزة .. وهي المدرسة التي كانت تعتمد في الأدب الصحفي على الحجة والمنطق .
- مدرسة الدكتور هيكل .. وهي المدرسة التي كانت تعتمد على أسلوب الترفع الفكري .
- مدرسة الأهرام .. وهي المدرسة التي يعتمد أدبها على محاولة الجمع بين مختلف الآراء والتيارات العامة .
- مدرسة الدكتور عزمي .. وهي المدرسة التي يظهر في أدبها موكب الحضارة العالمية جنباً الى جنب مع جنب مع موكب التطور المحلي .
- مدرسة المازني .. وهي المدرسة التي كانت

تعتمد على السخرية كسلاح من أمضى أسلحة الأدب الصحفي .

خصائص الأدب الصحفي

في أية دراسة شاملة لأساليب هذا المدارس ، التي نجد لها مثيلا في كل صحافات العالم العربي – بل وصحافات العالم – نجد ان الأدب الصحفي قد اختص نفسه بالخصائص الرئيسية الثلاث في الأدب العام . ففي الأدب العام : بيان وبلاغة وبديع ، ويقابلها في أدب الصحافة : لغة الصحافة والعرض الصحفي والتوجيه الصحفي .

لغة الصحافة

لقد تطورت لغة الصحافة العربية تطوراً ظاهراً ، فلم نعد نقرأ في صحفنا عبارة مثل عبارة « الكاتب النحرير » . لقد استبدلت بها كلمة « اللامع » . هذا المثل من التطور اللفظي في الصحافة يدل على أن الأدب الصحفي في الصحافة العربية يتجه الآن نحو الكبرياء . وهذه الكبرياء أوضح ما تكون حين نقارن بين وصف زيارة أحد المسؤولين لاحدى دور الصحف في الماضي ، وبين مثل هذا الوصف في الحاضر . ففي الماضي كان الوصف لهذه الزيارة يرتفع الى مستوى المقال الافتتاحي نفسه ، أما الآن فان هذا الوصف لا يتعدى أن يكون خبراً من الأخبار الاجتماعية .

ومن العبارات التي يسجلها الآن أدب الصحافة على سبيل المثال عبارات : أضواء المدينة ، وراء الكواليس ، المسرح السياسي .. الى آخر هذه المصطلحات الصحفية الجديدة في أدب الصحافة العربية المعاصرة .

العرض الصحفي

تغير أسلوب العرض في أدب الصحافة العربية المعاصرة . فبعد أن كان وصف أي اجتماع رسمي يبدأ بذكر أسماء الشخصيات الكبيرة التي حضرت هذا الاجتماع ، أصبح الوصف يبدأ الآن بالنتائج التي يسفر عنها مثل هذا الاجتماع . ومن الملاحظات الهامة على تطور أسلوب العرض الصحفي انه يخلو الآن من الكنايات والتلميحات والتشبيهات القديمة التي حلت محلها فنون صحفية جديدة نجملها في ثلاث هي : استثارة القارىء ، واجتذاب القارىء نحو موضوع معين ، وتركيز الفكرة في ذهن القارىء .

التوجيه الصحفي

ان الوظيفة الأصلية لأدب الصحافة هي التوجيه . والتوجيه الشخصي أنواع : سياسي ، واقتصادي ، واجتماعي ، وخلقي أو ثقافي .

ففي التوجيه السياسي يظهر المثل الأكبر في توضيح الأهداف السياسية .

وفي التوجيه الاقتصادي يظهر المثل الأكبر في دعوة الصحافة العربية الى انشاء المصارف والشركات الوطنية .

وفي التوجيه الاجتماعي يظهر المثل الأكبر في دعوة الصحافة العربية الى تطوير التعليم والمعاملات العامة .

وفي التوجيه الخلقي يبدو المثل الأكبر في تخصيص صفحات كاملة للدين والثقافة .

شخصية القارئ وأهميتها

وفي أية دراسة فنية للأدب الصحفي لا بد أن نذكر القارىء في هذا الأدب ، وهذا الأثر يبدو واضحاً في اقبال القارىء على صحيفة ، وانصرافه عن أخرى ، واقباله على كاتب دون آخر ، واقباله على أسلوب دون أسلوب .. وهو الاقبال أو الانصراف الذي يجعلنا نقول أن « القارىء » هو الشريك الطبيعي لكل صحفي في بناء أدب الصحافة .

بل ان بعض القراء الممتازين قد ساهم بالقلم في ارساء قواعد الأدب الصحفي وتطويره ، فالصحافة كمنبر عام تفتح صدرها لكل الأقلام المنيرة . ولقد ظهر من قراء الصحف قراء خدموا الأدب الصحفي أجل الخدمات . نذكر منهم ، على سبيل المثال طلعت حرب الذي زوّد الصحف منذ سنة ١٩١٠ بفكرة انشاء البنوك والشركات الوطنية ، ومصطفى عبد الرزاق الذي ساهم مساهمة فعالة بمقالاته في تطوير الأساليب الصحفية . هؤلاء وأمثالهم كانوا قراء قبل أن يكونوا كتاباً ، لكن أثرهم في أدب الصحافة لا يزول .

ولقد استطاع « القارىء » أن يترك بصمات واضحة على الأدب الصحفي المعاصر بأن دفع الصحافة دفعاً لفتح أبواب خاصة بالقراء في غالبية الصحف ، وقد استطاعت هذه الأبواب على صغرها أن تسهم مساهمة ايجابية في التوجيه الصحفي الذي يستجيب له المسؤولون .

ولأهمية « القارىء » في أدب الصحافة ، لا في انتشارها فقط ، أصبحت « شخصية القارىء » فرعاً من فروع الدراسات الصحفية في غالبية معاهد الصحافة العالمية ، حيث تتخذ هذه المعاهد من « شخصية القارىء » مادة أساسية في دراسة الرأي العام .

الى هنا نستطيع أن ننتهي الى أن أدب الصحافة يقوم في أربع دعائم وهي : الكاتب ، والقارىء ، والفن الصحفي ، والأسلوب ■

نداء

نظرا لحاجة مكتبة « قافلة الزيت » الشهرية الى نسخ من أعدادها القديمة ، فان هيئة التحرير ترجو من قرائها الكرام ممن تتوفر لديهم نسخ اضافية منها يمكنهم الاستغناء عنها أن يبعثوا بها مشكورين الى القافلة التي ستقابل هذه اللفتة بتقديم هدايا رمزية .

والقافلة اذ تتوجه بهذا النداء الى قرائها الأعزاء ، فانها تتطلع بثقة واخلاص الى تعاونهم وتجاوبهم معها في هذا المضمار .



للشاعر الياس قنصل

كن صباحا لمن توالت عليه غمرات الخطوب والارزاء
وأزل عن فؤاده ظلمة ضيّع فيها بقية من رجاء
كن سلاما لمن تخلّ وداد الناس عنه في الحالة العسراء
وأعد بهجة الحياة اليه ماسحاً يأسه برفد الأخاء
كن عزاء لمن تحمّل ما يدمى له القلب من صروف القضاء
وتغلغل الى تباريحه : بلسم حب به سريع الشفاء
قابل الماكر المدجّل بالاشفاق ، لا با لصدود والازراء
ربّ نذل سما الى المجد ان تسعفه كف ممدودة بولاء
واعذر الوغد ليس يرتاح الا في جحور حوت أفاعي الرياء
قد يكون الخداع في رأيه درعا تقيه طوارق البلواء
انّ فيمن يفضّل السوء ضعفا كامن فيه أخبث الأدواء
كل نفس تضمّ كنزاً من الخيرات تعنو لبسمة سمحاء
ان يكن للجلال عبسة قاس فالمحيا البشوش نور السماء
الذي ضلّ مرغما ، كالذي ضلّ اختياراً : أهل لأوفى رثاء
أنت في غيّه شريك اذا أبعدت عنه بغلظة وجفاء
أنت بالرفق والتساهل تجلو عنه ويل الخصام والاعتداء
هو لم يجن غير لذة وهم نسجتها عقارب البغضاء
لو درى أيّ متعة في صنيع الخير لم يعْدُ موكب الفضلاء
نعمت روحك الكريمة في روض بهيج يفيض بالآلاء
فمن العدل أن تساعد محروما ، عليه بغت سياط العناء
ليس للفضل أيّ أجر اذا لم ينتشر عطره على الأشقياء
ان عينا تسدّها الكفّ لا تبصر شيئا ، كمقلة عمياء
أنت جزء من الأنام فلا تعرض بزهو عن سائر الأجزاء

من طرائف العلم

١

بقلم الاستاذ عبد العزيز رياض

يميل كثير من الناس الى الاعتقاد بأن العلم غالباً ما يفتقد عناصر التشويق والامتاع والطرافة ، وأنه بجفافه ، وبأرقامه الدقيقة ، ونظرياته المعقدة ، وموازينه الحساسة ، يعلو على أفهام غير المتخصصين ، فينصرفون عنه الى فنون الأدب وشذراته ، حيث يجدون المرتع المخصب لمتعة الذهن ، ونزهة الفؤاد .

وثمة أمور أخرى تساعد على هذا التصور والاعتقاد ، منها أن لغة العلم تتسم بالمجادّة والايجاز والتركيز والترابط ، وهي على بساطتها ووضوحها ، قد تخلو من الجمال اللفظي وعذوبة العبارة . كما ان الأسلوب العلمي يدعو لشحذ الذهن ، واتصال الفكر ، وتوافر الاستعداد ، فلا مناحي من حصيلة سابقة من المبادىء والمعلومات لتفهم ما يبنى عليه البحث وما يستنتج منه ، والناس في هذا العصر – عصر السرعة – تتطلب المتعة الذهنية القريبة المنال والبعيدة عن الاستغراق والانشغال .

كذلك ، فان العلم في سباقه مع الزمن ، وفي اتيانه بالجديد المفيد كل يوم ، وفي مسيرته التي لا تهدأ ، يجعل أكثر الناس يتقبلونه في دهشة وانبهار ، كشيء كائن حلّ بينهم . وهم في غمار هذه الدهشة المتصلة ، لا يحاولون فهم مكنون هذا الجديد وسبر أغواره ، ومعرفة النظريات التي عليها اعتمد والمراحل التي بها مر ، والتجارب التي سلك سبيلها الى الظهور .

ونكاد لا نبتعد عن الواقع اذا قلنا ان مثل هذه النظرة وان كانت تصدق بالنسبة لعلوم التخصص والدراسة المتعمقة ، فانها لا تخلو من اجحاف بالعلم عامة ، ومن تهوين لشأنه . فطرائف العلم ، وما أكثرها ، متجددة ومفيدة وشيقة ، خاصة بعد أن انتشرت كتب العلوم وبحوثه المبسطة في لغات العالم ، وأصبح في متناول الشخص العادي أن يلم بطرف لا بأس به من حقائق العلم ومواضيعه .

واذا كنا نعد من طرائف الأدب القول الفصيح ، والحكمة البليغة ، والنادرة المستملحة ، وغيرها ، فان في تراجم حياة العلماء وكفاحهم ، وفي تاريخ العلم والكشف ، وفي الملاحظة العابرة ، واللفتة البارعة ، وفي الالحاح المضني ، والصبر المرير ، بل وفي المصادفة حينا ، وفي الخطأ أحياناً .. في كل هـذه مادة لا تنفد لرصيد زاخر دفاق من طرائف العلم الشيقة .

* * *

ومن طرائف العلم ، قصة الصاروخ ، فقد يدهش المرء اذ يعلم ان الانسان قد استمد فكرته من حيوان مائي بعيد في أغوار التاريخ ، وهو الأخطبوط ، اذ وهب الله جلت قدرته هذا الحيوان أذرعاً طويلة بينها كيس يملأه ماء ، فاذا أراد الانتقال دفع الماء بقوة من فتحة في الكيس ، فيندفع جسمه في الاتجاه المضاد بقوة الدفع العكسية . تماما كما لو نفخت بالوناً ، مما يلعب به الأطفال ، ثم تركته ليخرج الهواء بقوة من فتحته الضيقة ، فان البالون يندفع في الاتجاه المضاد .

ومن طرائف المنجزات العلمية ان أولى محاولات غزو الفضاء قد حدثت منذ سبعة قرون ، فقد قام مغامر صيني يدعى « وان هو » بهذه المحاولة ، اذ أحضر صندوقا ، وثبت فيه مقعداً ربط نفسه به ، وشد الصندوق الى أربطة طويلة تنتهي الى مجموعة كبيرة من الصواريخ ، التي تم اطلاقها في وقت واحد . وانتشرت في الجو سحب الدخان الكثيف ، ووقف الناس ينتظرون انقشاعها ، ويترقبون عودة البطل المغامر ، ولكنه لم يعد ، فقد فتكت به صواريخه التي لم يحكم صناعتها !

ومن طريف التجارب العلمية التي لجأ اليها الطب القديم بنجاح ، وتوارثتها الأجيال السابقة ، تقريب بعض ريش الطيور المحترق من أنف المصاب بالاغماء أو الاعياء ، فلا يلبث أن يعود لصوابه بعد استنشاق الغاز المتصاعد . وقد ظل سر هذا الغاز مغلقاً حتى بدا للكيميائي الفرنسي « كلود لويس » في عام ١٨٧٥ أن يكتشف حقيقته وتركيبه ، وانتهت تجاربه الى اثبات ان الغاز المتصاعد هو غاز « النشادر » أو « الأمونيا » ، ويتركب من النتروجين والايدروجين . وقد تمكن من تحضيره بالتقطير الاتلافي للفحم الحجري وللمواد العضوية ، كالقرون والحوافر .

وهذا الغاز الذي توصل اليه أجدادنا بطريقتهم البدائية البسيطة ، تعددت مزاياه ومجالات استعماله في العصور الحديثة ، فهو يستخدم في صناعة الثلج والمفرقعات ، ومواد التنظيف ، كما يستخدم في صناعة الحرير الصناعي .. الى جانب استعماله منذ أقدم العصور كعلاج طبي مفيد !

* * *

وفي رحاب العلم ، عشرات من القصص الطريفة حول محاسن الصدف المقرونة بدقة الملاحظة والمتابعة . ولا تبعد عن الأذهان في هذا الصدد قصة « نيوتن » وكشفه قانون الجاذبية ، وقصة « جاليليو » وملاحظته لحركة القناديل في كاتدرائية « بيزا » التي أدت الى صنع رقاص الساعة ، واكتشاف « وليم بركن » للأصباغ الكيميائية ، وغيرها الكثير ..

ومن أطرف القصص التي يصدق عليها المثل « رب صدفة خير من ميعاد » ، قصة الكشف عن حجر المغنطيس ، وقصة الكشف عن صناعة الزجاج . فقد بدأت قصة الكشف عن المغنطيس براع بسيط يتوكأ على عصاه في المناطق الجبلية من جزيرة « كريت » ، وقد ثبّت في طرف العصا قطعة حديد حتى لا تبلى ، ولكنه مالبث أن شعر بعصاه تنجذب الى الأرض ، وتلتصق بها ، فكفّ عن المسير ، وحفر حفرة في الأرض ، وتناول قطعة من الحجر ذات لون رمادي قاتم لها خواص الجذب والشد .

وقد قال « سقراط » عن هذا الحجر : « انه لا يجذب الحلقات الحديدية فحسب ، ولكنه يكسبها أيضا قوة مشابهة تجذب بها حلقات أخرى . » ومن عجب ، ان نمت حول هذا الحجر الكثير من الخرافات والمعتقدات الساذجة ، حتى قيل بقدرته على اعادة الحب والوئام بين الزوجين المتخاصمين ، وفي شفاء بعض الأمراض . وظلت هذه الأوهام مسيطرة على عقول الناس حتى أوائل القرن الثالث الميلادي ، حين كتب « بطرس بريجنيس » في المغناطيسية ، وألف فيها كتابا كان تمهيداً لما نراه اليوم من تطبيق المغناطيسية والكهربية في القطارات ، والسيارات والهاتف ، والاضاءة ، وغيرها ..

وترجع قصة الكشف عن صناعة الزجاج الى أزمان سحيقة ، كما لعبت الصدفة دورها الكبير أيضا في هذا الكشف ، اذ كان بعض البحارة الفينيقيين قد أوقدوا ناراً في موقد صنعوه من حجر البوتاس ، وعند اندلاع النار فوق الرمل ، بدأ البوتاس يسيل ، ويختلط بالرمل ، ولما أطفئت النيران ، تبين ان الرمل قد أصبح يختلف شكلا وحجماً عما كان عليه .. واذا به زجـــاج !

* * *

ويعد نجاح « جون لوجي بيرد » في اختراع التلفزيون في أواخر عام ١٩٢٥ ، من أهم المنجزات العلمية في القرن العشرين . والطريف أن أول جهاز تلفزيوني صنعه هذا العالم وأجرى عليه تجاربه كان بسيطاً للغاية ، اذ كان يتكون من : صندوق خشبي من صناديق الشا ي ، وعلبة بسكويت فارغة ، وعدسة اسقاط اشتراها بشلن واحد ، ومحرك كهربي صغير لا يزيد ثمنه على ستة شلنات !

وفي أكتوبر عام ١٩٢٥ ، وبعد محاولات مضنية ، تمكن « بيرد » من مشاهدة أول جسم ثابت على شاشة جهازه ، فطار فرحاً ونزل مسرعا من شقته الصغيرة في قرية « هاسبنج » بجنوب انكلترا ، ليحضر أول شخص يقابله ليتحرك أمام الجهاز . ونجح في اقناع موظف صغير ، يدعى « وليم تانتون » ، بالصعود معه لاجراء هذه التجربة ، وأجلسه أمام جهاز الارسال ، ثم ذهب بيرد الى الغرفة الأخرى حيث وضع جهاز الاستقبال ، ولشد ما كانت دهشته اذ لم يجد أية صورة على الشاشة ، فتملكه اليأس ، وذهب ليصرف الرجل ، ولكنه ما لبث أن انفجر ضاحكاً عند مشاهدته الرجل منزوياً في ركن من الغرفة بعيداً عن جهاز الارسال ، وقد بدا مذعوراً من الأنوار الشديدة المسلّطة عليه ، فأعطاه « بيرد » شلنين ونصف – اغراء له – حتى يقترب من الجهاز . وفي هذه المرة ظهرت صورة « وليم تانتون » وحركاته بكل وضوح .. وتحقق الحلم الكبير ! !

* * *

والرجال العلم كلمات مأثورة هادفة ، نبعت من صميم التجربة والمعاناة ، ومن عميق الثقة والايمان ، نجتزىء من ذلك قول « اديسون » : كثيراً ما كان يخيل اليّ ، وأنا أحاول اجتياز المرحلة النهائية في اختراع ما ، أن حائطا من الجرانيت ارتفاعه مائة قدم يعترض سبيلي ، على انني لم أكن أستسلم لليأس ، بل كنت أمضي في محاولاتي ، ولا أكف عن معاودة الكرة مثنى وثلاث ورباع ، حتى ينهار حائط الجرانيت الذي اعترض سبيلي » .

ولا ننسى في هذا المجال الكلمة النبيلة لمدام « كوري » ، عندما كان عليها أن تختار بين الغنى والفقر ، بين احتكار امتياز صناعة الراديوم ، وبين اطلاق هذا المسحوق الأبيض حراً لعلاج الأمراض ، اذ قالت : « ليكن الراديوم ملكاً مشاعاً للبشر أجمعين ، ولتكن حياتنا بعد ذلك ما تكـــون » .

وهذا « رونالد روس » ، الذي أمضى أربع سنوات عصيبة في الهند ، يتابع تشريح البعوض دون كلل أو ملل ، حتى توصل في صيف عام ١٨٧٨ للكشف عن طفيل الملاريا ، فتوجه في ضراعة الى الله ، منشداً :

* * *

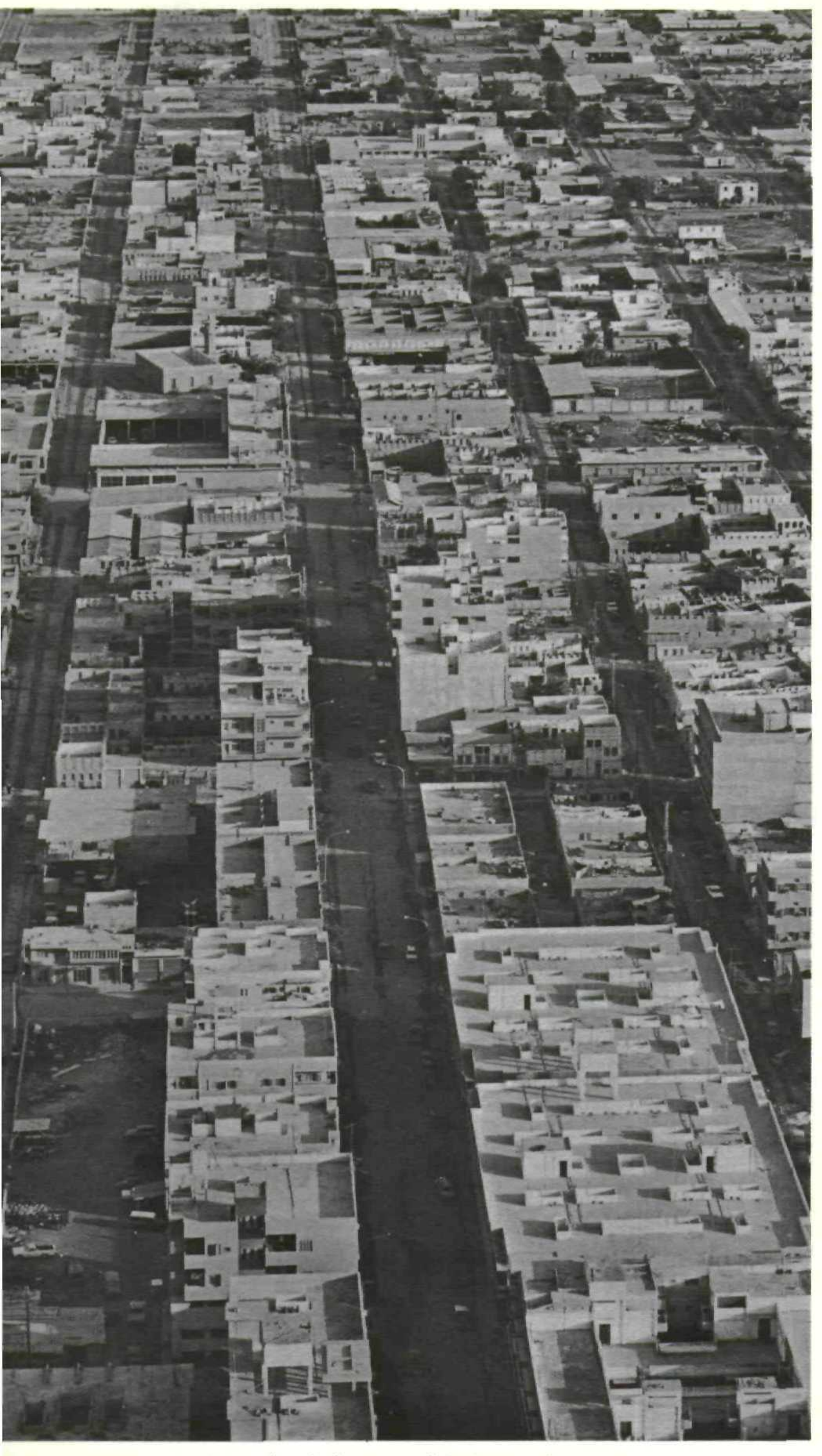
اليوم أفاء عليّ الله ، وعرفت سراً عجيباً
تباركت يا ربي وتعاليت
كنت أتقصى المجهول الغادر
بدمع هتون وأنفاس حارة
حتى عثرت على البذور الماكرة
أيها الموت الفاتك بالملايين
لقد عرفت ذلك الشيء الضئيل
الذي ينقذ حياة مئات الألوف ..

وتكاد لا تخلو قصة من قصص العلم والعلماء ، من طرفة جذابة ، بل من مجموعة من الطرائف المتألقة والمتجددة . وكل ما هنالك ، ان الكشف عنها يحتاج لانعام النظر في كتب العلم المختلفة ، وفيما يأتيه العلم كل يوم من جديد . وقد يقود البحث عن امتاع الذهن بهذه الطرائف والقلائد الى جعل العلم هواية محببة الى النفوس ، فتنقاد الى الغوص في أعماقه ، والتعمق في دراسته . وما أحرانا بمثل هذا التفتح والاقبال ، في عصر العلم والعرفان ■

الخبر ثغر الخليج العربي الضاحك



منظر ليلي لشارع الأمير خالد .. القلب التجاري لمدينة الخبر .



منظر جوي لمدينة الخبر حيث الشوارع الفسيحة المنسقة .

الخُـبَر « بضم الخاء وفتح الباء » مدينة فتية تربض على الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية وتقع عند خط الطول ٥٠ درجة و ٨ دقائق شرقا وخط العرض ٢٦ درجة و ١٩ دقيقة شمالا ، وتقع على ساحل البحر . أما مناخها فشبيه بمناخ معظم بلدان الخليج العربي ، فهو شديد الرطوبة تهبّ فيه الرياح الخفيفة طوال العام تقريبا ، ويعتدل الجو ويصبح لطيفا في الفترة الممتدة من سبتمبر الى مايو حيث تتراوح الحرارة بين ٢٠ و ٢٥ درجة مئوية أثناء النهار وبين ١٠ و ١٥ درجة مئوية أثناء الليل ، أما في الفترة الممتدة من مايو الى سبتمبر وهي فترة الحرارة العالية ، فان درجة الحرارة ترتفع كثيرا فتصل أحيانا الى نحو ٤٠ مئوية كما تشتد الرطوبة فتصل نسبتها الى ١٠٠ بالمائة أحيانا .

وحرارة مياه البحر في الخليج دافئة لطيفة ، فهي تتراوح بين ٢٠ و ٢٢ درجة مئوية خلال أشهر الشتاء وترتفع الى حوالي ٣٣ درجة مئوية خلال أشهر الصيف . وأكثر أشهر السنة هطولا للأمطار هي ديسمبر ويناير وفبراير ، أما أعلى نسبة سجلّت لهطول الأمطار فيها حتى الآن فكانت ١٦٥ مليمترا .

تَسْمِيَتُهَا وَنَشْأَتُهَا

لم يرد ذكر في أي من المراجع حول تسمية مدينة الخبر بهذا الاسم ، غير أن البعض يرجح أن لهذه التسمية علاقة بكلمة « خبرة » وجمعها « خبور » وهي منقع الماء في الجبل والمكان الذي تلتقي فيه مياه السيول والأمطار وتتجمع ، كما أنها أيضا شجرة السدر والأراك وما حولهما من العشب ، والثابت أن بعضا من أبناء الدواسر الذين نزحوا من البحرين عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) قد جاءوا الى الخبر واستقروا بها واذ ّاك لم تكن الخبر سوى مجموعة من بيوت الشعر والأكواخ المبنيّة من الجريد أقيمت بالقرب من البحر حيث لجأ أصحابها الى البحث عن قوتهم في مياه الخليج يصطادون الأسماك ويغوصون بحثا عن اللؤلؤ الثمين .

وظلّت هذه الحال عقدا أو عقدين من الزمن .. حتى كان يناير عام ١٩٣٥م أي في الوقت الذي كانت فيه أعمال التنقيب عن الزيت ماتزال جارية في هذا الجزء من المملكة العربية السعودية .. في ذلك الوقت وقع الاختيار على الخبر لبناء أول رصيف

مبنى بلدية الخبر وتوابعها .

جانب من مساكن « الفردوس » الحديثة في مدينة الخبر وقد اتسمت بالنظافة وحسن التنسيق .

من صخور البحر والحجارة فيها يكفي لاستيعاب المراكب الصغيرة التي كانت تنقل المواد والأغذية والمعدات الأخرى من البحرين الى مخيّم التنقيب الصغير الذي كان مقاما في منطقة جبل الظهران الذي يبعد عن البحر بنحو عشرة كيلو مترات . وحين عـثر على الزيت بكميات تجاريـة في عام ١٩٣٨م قامت شركة (كاسوك) التي تعرف حاليا باسم شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو » ببناء مرافق لتخزين الزيت الخام على مقربة من فرضة الخبر ، ومن ثم شحنه الى مصفاة البحرين بواسطة خط للأنابيب ممتد تحت سطح ماء البحر .. وقد ظلت تلك المرافق تعمل الى أن توقفت في عام ١٩٤٢م حين نقلت فرضة الشحن الى شاطيء « العزيزية » ..

كان بناء الرصيف الصخري والمرافق القريبة منه أول عملية انشاء تجرى في الخبر .. اذ بعد ذلك بقليل أخذت بعض المباني البسيطة المصنوعة من الصخور البحرية والجص وبعض الأخشاب في الظهور الى جانب الأكواخ .. وكانت مياه الشرب تجلب على ظهور الدواب من بئر في «الثقبة» التي تبعد عن الخبر بنحو أربعة كيلو مترات .

بلدية الخبر

في الخامس عشر من صفر ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) أصدر المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود أمرا بانشاء بلدية الخبر بفرعيها الدمام والظهران ، وكان أول رئيس لهـا آنذاك السيد لطفي ناجي الحداد .

وقد جاء انشاء البلدية ايذانا بالانطلاق في مسيرة عمرانية متواصلة شملت مختلف الجوانب .

فنفذ مشروع شبكة المياه والمجاري الذي اشتمل على حفر الآبار الارتوازية واقامة محطات الضخ والصرف والتنقية ، وبناء الخزانات العلوية والأرضية ، وقد بلغت تكاليفه زهاء عشرين مليونا من الريالات . كما أنشئت الأسواق المركزية لمختلف السلع وبني الساند البحري واستصلحت أراضي البناء الساحلية ، وشقت الشوارع وعبدت وأنيرت بالكهرباء ، وبنيت مصدّات الرمال ، وأنشئت الحدائق العامة والغابات الحرجية وغرست الأشجار في خطة تهدف الى اظهار المدينـة وضواحيها بالمظهر اللائق بها وجعلها نموذجا للمدن المستجدّة على سواحل الخليج العربي .

وتعرف الخبر بأنها المنطقة السكنية المأهولـة برجال الأعمال الأجانب نظرا لوجـود معظم المؤسسات والوكالات التجارية ولتوفر الدارات السكنية الحديثة فيها . هذا وقد كان للبيوت العديدة التي بناها موظفو أرامكو السعوديون في أماكن مختلفة من مدينة الخبر بموجب برنامج تملك البيوت أثرها البيّن في تطوير أسلوب البناء ، وتنشيط اليد العاملة ، وانماء الصناعة المحلية ، فقد تم بناء نحو ١١٠٠ بيت فيها بموجب هذا البرنامج .

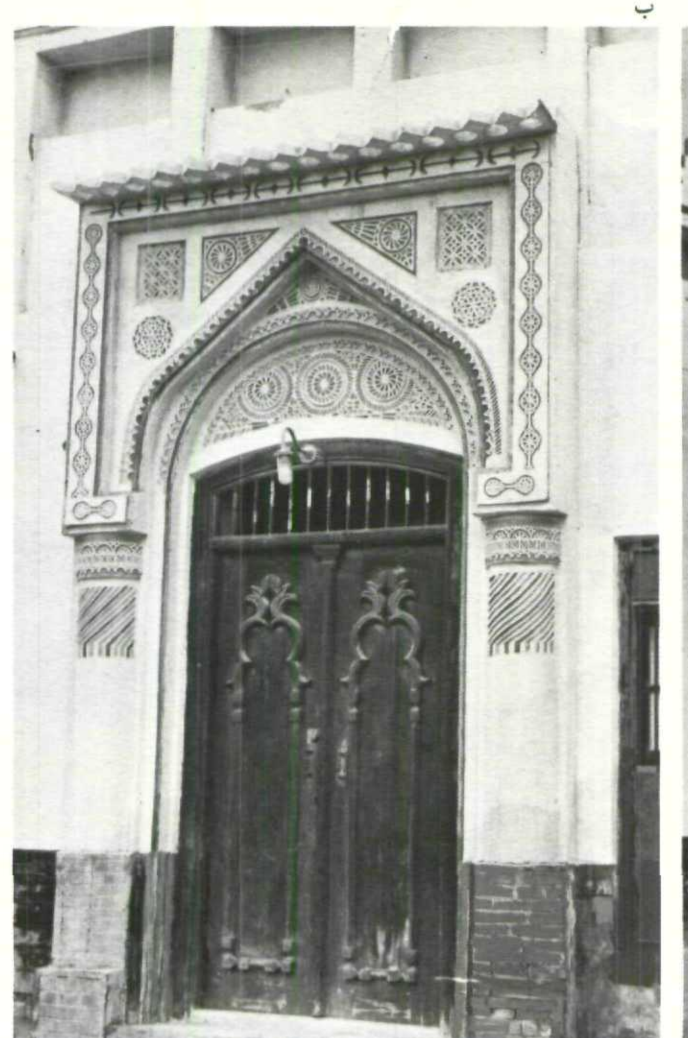
التعليم

افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنين في الخبر عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) ، وكان اسمها آنذاك « معاذ بن جبل » ، وكانت تضم ٧٤ طالبا تجمعهم ثلاثة فصول . أما أول مدرسة لتعليم البنات فقـد افتتحت رسميا عـام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) . ولقد سايرت الحركة التعليمية ركب النهضة العمرانية فكثرت المدارس وتضاعف اقبال طلبة العلم عليها عشرات المرات فأصبح مجموع مدارس البنين والبنات فيها حتى نهاية العام الماضي



صورة تذكارية لرصيف ميناء الخبر في احدى مراحل انشائه عـام ١٩٣٥ .

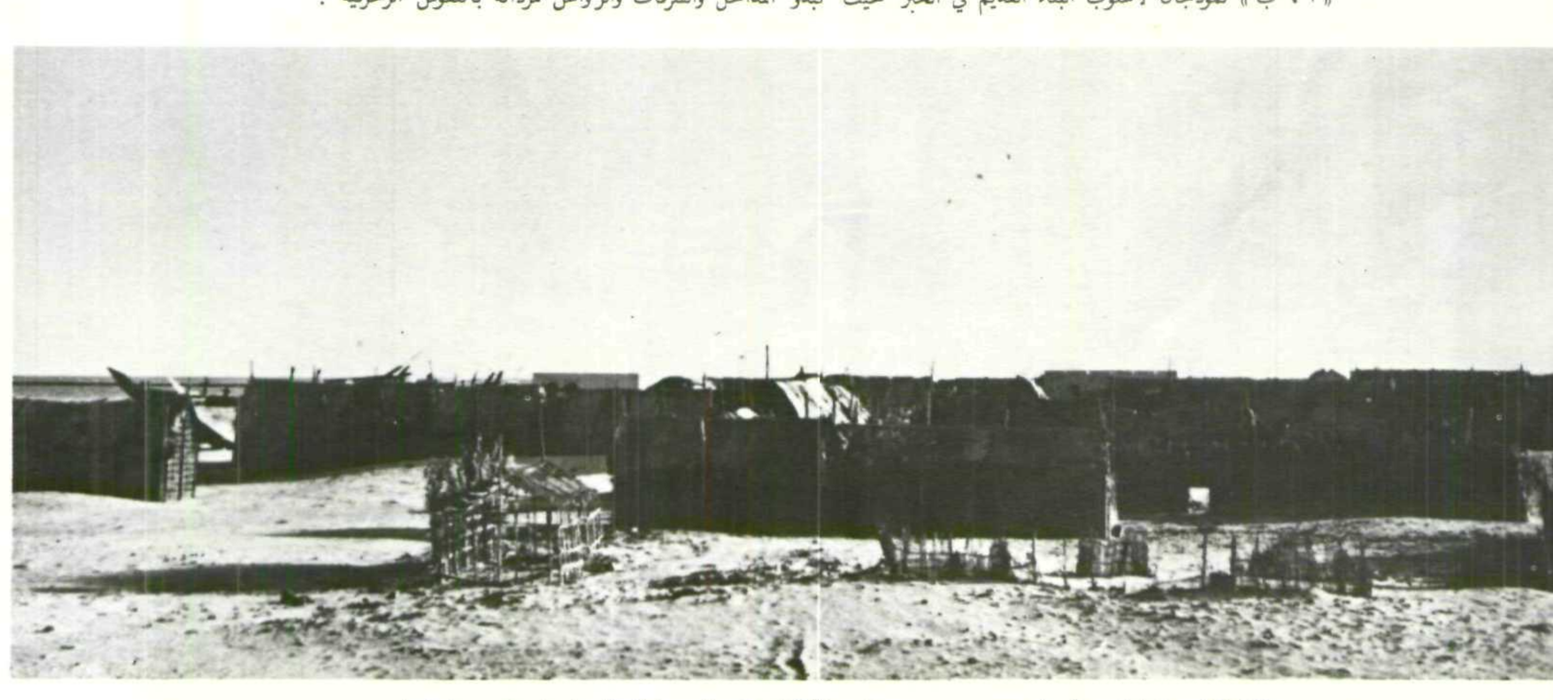
ب



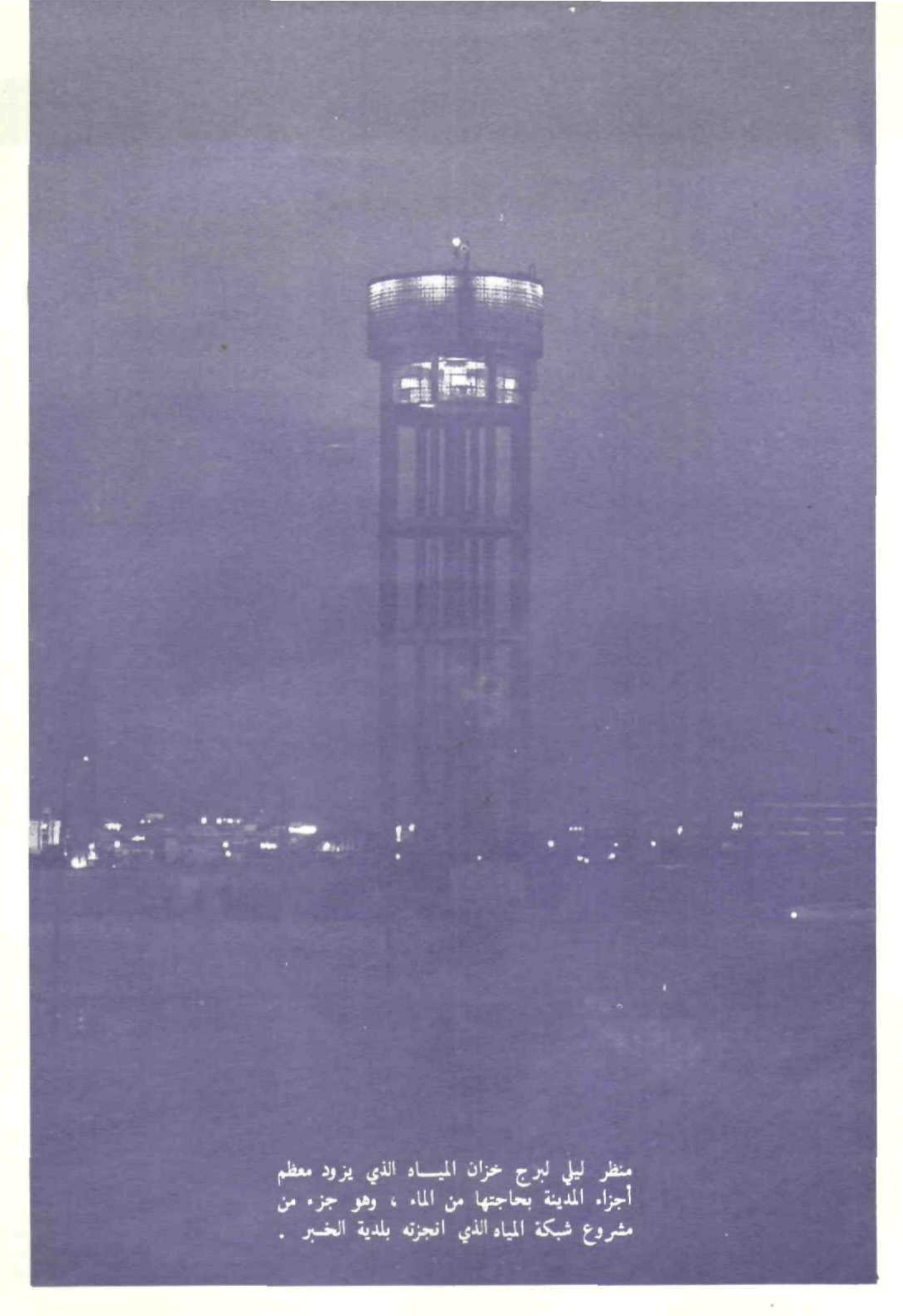
أ



« أ ، ب » نموذجان لأسلوب البناء القديم في الخبر حيث تبدو المداخل والشرفات والرواشن مزدانة بالنقوش الزخرفية .



هكذا كانت بلدة الخبر في عام ١٩٣٦ .. مجموعة من الأكواخ تقبع في وسط الرمال على مقربة من مياه الخليج .



منظر ليلي لبرج خزان الميـــاه الذي يزود معظم أجزاء المدينة بحاجتها من الماء ، وهو جزء من مشروع شبكة المياه الذي انجزته بلدية الخـبر .

يزيد على الثلاثين بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية .. هذا بالاضافة الى المعاهد الأهلية ورياض الأطفال ومراكز الدراسة الليلية ، ومكافحة الأمية .. وعلى الرغم من هذا التزايد المطرد في عدد المباني المدرسية ، فان هذه المدارس أخذت تضيق بالأعداد المتزايدة من الطلاب والطالبات الذين أصبح عددهم يفوق العشرة آلاف . وأصبحت الدراسة في بعض المدارس تؤدى لفترتين : صباحية ومسائية .. والجـــدير بالذكر أن « أرامكو » أسهمت ، وما زالت ، في بناء عدد من هذه المدارس الحديثة طبقا لاتفاق مبرم بينها وبين وزارة المعارف السعودية ، وقد بلـــغ مجموع المدارس التي بنتها الشركة للحكومة في مدينـة الخبر أربعا للبنين وثلاثا للبنات .

التجـارة والأعمـال

الخبر بحكم موقعها على مقربة من منشآت الزيت تشكل مركزا تجاريا نشطا ، وتكتظ واجهات متاجرها بالمعروضات والسلع المستوردة والمحليّة ، وخلال عطل نهاية الأسبوع يقبل عليها سكان بعض المناطق القريبة للتسوّق وقضاء مختلف الحاجات والمصالح . وقلب المدينة التجاري هو شارع الأمير خالد الذي يتوسط المدينة ، وتقوم على جانبيه أغلب المحال التجارية الحديثة . وتكثر في مدينة الخبر وكالات السياحة والسفر بالنظر لقربها من مطار الظهران الدولي ، كما قامت في المدينة مصارف وبنوك وطنية وعربية وأجنبية عديدة . وأنشئت فيها عدة فنادق حديثة لاستقبال الوافدين اليها من رجال الأعمال .

جانب من محطة تنقية مياه المجاري التي تم بناؤها ضمن مشروع شبكة المجاري في الخبر ، وتبدو وكأنها بحيرة صغيرة .

أحد فصول مدرسة الصديق الابتدائية وهي من المدارس النموذجية في الخبر .

هذا وان الرصيف البحري الذي يرجع بناؤه الى أوائل الثلاثينات ما يزال حتى اليوم يستقبل المراكب والسفن الصغيرة التي تنقل المسافرين ذهابا وايابا بين الخبر ومختلف بلدان الخليج العربي الأخرى بعد أن جدد وشملته توسعة سمحت باقامة المرافق الحكومية فيه . وتستقبل مدينة الخبر أثناء موسم الحج عن طريق فرضتها البحرية ، الحجاج القادمين من امارات الخليج العربي والأقطار الآسيوية الشرقية في طريقهم الى بيت الله الحرام .

الصناعة

تعدّ الصناعة في الخبر وليدا ما زال يحبو اذا ما قيست بالحركة التجارية النشطة .. بيد أن هنالك صناعات محدودة كصناعة الغازات الصناعية ، وصناعة الألبان والبوظة ، ومناديل الورق (الكلينكس) وصناعة المرطبات والمياه الغازية ، والملبوسات الجاهزة ، بالاضافة الى صناعة الآجر والبلاط على اختلافه . كما تكثر فيها الورش الميكانيكية ومخارط صنع بعض قطع الغيار البسيطة .

الزراعة

أما الزراعة فتقتصر على البساتين والحدائق التي تزدان بها الأطراف الشمالية والغربية من المدينة ، منها مزارع للدواجن حديثة ، ومنها مزارع للخضار . وتعتمد هذه المزارع على الآبار الارتوازية وضخ الماء من تلك الآبار اليها . وهذه البساتين والمزارع هي مرابع مخضرّة يتردد عليها أهالي المدينة وضواحيها للنزهة وقضاء العطل الأسبوعية .

المستشفيات والعيادات

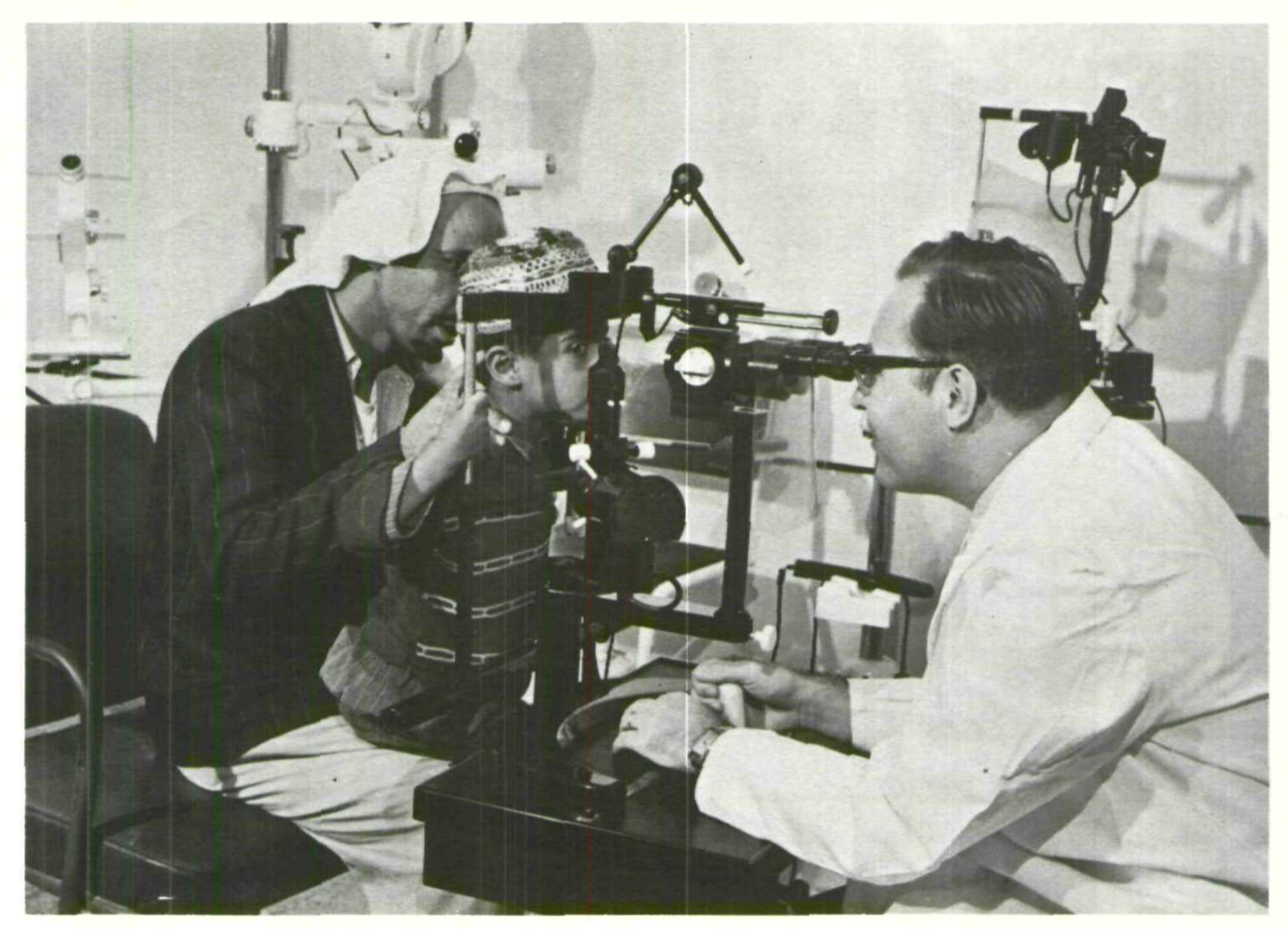
تعتبر الخبر من الناحية الصحية مركزا بالغ الأهمية اذ يقوم فيها عدد من المستشفيات الحديثة المجهزة بأحدث المعدات الطبية ومن أكبرها مستشفى السلامة ومستشفى الشرق اللذان صمما بحيث يستقبلان مختلف الحالات المرضية وبهما أجنحة خاصّة بالرجال والنساء والأطفال وأخرى بالأمراض المعدية . ويبلغ مجموع أسرة هذين المستشفيين حوالي ٢٨٠ سريرا هذا فضلا عن المستوصفات والمستشفيات والعيادات الخاصة بأمراض العيون وطب الأسنان وجراحتها .



أحد المساجد العديدة في الخبر حيث يسعى المصلون الى ذكر الله .



تكثر في الخبر محلات بيع الصحف والمجلات والكتب العربية والأجنبية .



احدى العيادات الحديثة لطب العيون وجراحتها في مدينة الخبر .

المجتمع والنشاط الأدبي والرياضي

ومجتمع الخبر هو مجتمع الجاليات الوافدة ، اذا استثنينا القليل من العائلات التي كانت تقطن المكان قبل اتساع المدينة ودخولها مرحلة التطور السريع ، وهذا المجتمع يحفل بروافد السكان الذين قدموا من مختلف أنحاء المملكة ومن البلدان المجاورة والغربية للعمل في شتى ميادين الأعمال . وشوارع الخبر معرض نادر .. تطالعك فيها مختلف الوجوه والأزياء .. فمن اللباس العربي المعروف الى الزي الباكستاني والهندي ، فالأزياء الغربية المتعددة الأشكال والألوان . ومن اللغات بالاضافة الى العربية بلهجاتها المتعددة يصافح سمعك وأنت تتجوّل في شوارعها خليط متعدّد من اللغات الانجليزية والايطالية والهندية والفرنسية والهولندية وغيرها .. كل هذه الأزياء واللكنات واللغات تعكس أبعاد المجتمع الذي تعيشه مدينة الخبر الفتية الناشئة ، الا أنه برغم هذا التنافر العجيب في تكوينه مجتمع يمتاز بالجد والعمل ، طابعه السرعة وحب الانتاج ، يدرك كل فرد فيه أنه وجد هنا ليعمل ويسهم في عملية بناء له فيها دور أساسي .

ولحداثة عهد الخبر أثر في عدم وجود ماض ثقافي أو أدبيّ لها .. بيد أن أفواج القادمين الى المجتمع الجديد حملت بين ثناياها بذور حركة أدبية ورياضية ساعد على نموّها وازدهارها وجود العديد من المكتبات ودور الطباعة والصحافة ، وانتشار المدارس ودور العلم . ومن بين الأعلام الأدبية التي ظهرت في مدينة الخبر أحمد الراشد المبارك ، وهو شاعر وكاتب وصاحب دراسات وبحوث تاريخية أهمها « المذاهب الفكرية في الاسلام » ، وله ديوان شعر « الصدى الضائع » ، وسعد البواردي وهو صاحب مجلة « الاشعاع » التي كانت تصدر في الخبر .. وغيرهما كثيرون ..

هذا وقد تأسست في الخبر نواد ثقافية ورياضية اندمجت كلها فيما بعد في ناد واحد هو « نادي القادسية الرياضي » ومن أكبر الملاعب الرياضية بالمدينة « ملعب رعاية الشباب » الذي يشهد كل أسبوع مباريات في كرة القدم تجتذب الآلاف من المعجبين والهواة ومحبي الرياضة .

أما بالنسبة لنشاط المرأة فهو حديث ظهرت بوادره حينما تألفت « جمعية فتاة الخليج بالخبر » عام ١٣٨٨ه (١٩٦٩م) . وهي جمعية اجتماعية ثقافية تعنى برفع مستوى المرأة السعودية فتنظم من أجل ذلك صفوفا للدراسة ومحو الأمية ، كما تنظم حملات لمساعدة الأسر المحتاجة .

وعلى مقربة من الخبر يقع شاطىء العزيزية برماله الناعمة الحالمة الذي يلجأ اليه سكان المدينة وضواحيها لقضاء الوقت والنزهة والاستحمام في مياه الخليج الدافئة ■

نسيم مدانات

١

٢



٣



١ – جانب من «السوبر ماركت» في مدينة الخبر حيث تتوفر معظم حاجيات السكان من المواد الغذائية .

٢ – صناعة الألبان من الصناعات الحديثة في مدينة الخبر .

٣ – أحد المحال التجارية الحديثة التي تزخر بها مدينة الخبر .

تصوير : سعيد الغامدي

السمت العربي في «لامية العرب»

بقلم الاستاذ فؤاد شاكر

من أنفس الذخائر الأدبية في التاريخ العربي تلك القصيدة الحافلة الشهيرة التي أطلق عليها « لامية العرب » بالنظر لما حوته من المعاني ، وما اشتملت عليه من الآراء ، بل هي تمثل السّمت العربي الأصيل ، بما سجلته من مظاهر الحياة العربية ، والخلق العربي الأصيل ، ووصف للعصر الجاهلي ، أو لغيره من العصور التي واكبت صدر الاسلام .

وقصيدة « لامية العرب » وجدت من العناية والتقدير ، ما حفل به التاريخ العربي ، حيث جرى طبعها ، وشرحها ، واستنباط معانيها العميقة. فقد وجد فيها التاريخ والمؤرخون ، مظهراً من مظاهر الحياة العربية لما مثلته من أخلاق وصفات وسمات ، وهي صورة صادقة لحياة البادية ، ورجل البادية ، فنرى فيها البدوي في صحرائه ودهنائه ، مؤتزراً بشملته أو عباءته ، يضرب الأرض بقدمين ، طاوي الكشح ، ضامر البطن ، بحثاً عن الأنفة والعزة والكرامة .

أما صاحب هذه اللامية فهو ، كما يحدثنا التاريخ الأدبي ، ثابت بن أوس الأزدي الذي تبوأ مكانة مرموقة في الشعر ، وهو من أهل اليمن ، واعتبره رجال دولته من شعراء الطبقة الثانية ، وقصيدته هذه كانت من أسباب ذيوع شهرته وبعد صيته . وقد مات سنة ٥١٠ ميلادية . وقد أطلق عليه لقب « الشنفري » لأنه كان عظيم الشفتين ، وفي شفتيه بروز غير عادي . وهو أحد العدائين المشهورين ، ممن كانوا يسابقون الخيل لسرعة عدوهم ، وهم خمسة ، أولهم هذا « الشنفري » ، ثم سليك بن سلكة ، وعمر ابن براق ، وأسير بن جابر ، وتأبط شرا . وتروي الأساطير عن شاعرنا صاحب لامية العرب انه أقسم ليقتلن من بني سلامة مائة رجل ، فقتل منهم تسعة وتسعين . وطريقته أنه كان اذا لقي غريمه ، يقول له : « الشنفري بطرفك » ثم ينقض على فريسته ، فيرميه بالسهم ، فيصيب عينه ، ومن ثم يجهز عليه . وقد احتال عليه جماعة من غرمائه ، فترصدوا له ، في كمين خاص وأمسكوا به ، وكان الذي أمسكه ، زميل له هو أسير بن جابر — أحد العدائين المشهورين— وقد وقف له في مضيق قدم عليه ليشرب منه . وأمسك به ليلا ، ثم قتله هو وجماعته ، فمر رجل منهم بجمجمته ، وقد أراد أن يتشفى منه ويسخر به ، فضربها برجله ، فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها ، فتمّت المائة .

أما دستور السمت العربي الذي أبرزته معاني القصيدة وأهدافها فهو يتجلى فيما أورده الشاعر في تسجيل طبيعة العربي في أخلاقه وصفاته ، وطباعه وعاداته ، مبتدئا بأول مظهر من مظاهر الخلق العربي ، وهو الأباء والشموس ، والدعوة الى رفض الضيم والهوان ، وطلب النقلة الى حيث يجد متسعاً لأهدافه وغاياته ، واستبدال قومه ، غير الأوفياء ، بقوم غيرهم ، من ذئاب الفلاة والصحراء ، الذين لا يفشون السر ، ولا يخذلون الجاني المستجير . ثم هو بعد ذلك يسجل بعض الصفات العربية ، فهو لا يمد يديه الى صفحات الطعام قبل غيره من الناس ، وانه يكفيه عن مصانعة الناس أو النفاق لهم ، انه يملك ثلاثة أشياء تحمي كرامته وعزته ، هي كل صحابته في الدنيا ، قلب جرىء ، وسيف ناصع ، وقوس يرمي بها . وليس هو الجبان الذي يطالع عرس كرامته ويسألها في الغائبات ماذا يصنع ؟ ! ويلجأ اليها من ضعف وهوان فيما تعترضه من أحداث ومصائب . ولا يعثر به القلق والحيرة والاضطراب لو فقد ناقته في تيه الصحراء ، بل يبحث عنها بمفرده في شجاعة واقدام . يقول في بعض أبيات القصيدة :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فاني الى قوم سواكم ، لأميل
فقد حمّت الحاجات ، والليل مقمر
وشدت لطيات ، مطايا وأرحل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما في الأرض ضيق على أمرئ
سرى راغبا ، أو راهبا وهو يعقل
ولي دونكم أهلون سيّد عملس
وأرقط زهلول ، وعرفاء جيأل
هم الأهل لا مستودع السر عندهم
يذاع ولا الجاني بما جر يخذل

وان مدت الأيدي الى الزاد لم أكــن
بأعجلهم ، اذ أجشع القــوم ، أعجل
وما ذاك الا بسطة عــن تفضــل
عليهم ، وكان الأفضل ، المتفضل
واني كفاني فقــد من ليس جازيا
بحسنى ، ولا في قربــه متعلــل
ثلاثــة أصحاب : فؤاد مشيــع ،
وأبيض اصليت ، وصفراء عيطــل

ويمضي الشاعر في مواصلة الحديث عن خبيئة نفسه ، واحساسه العميق نحو الحياة التي يعيشها ، وما تكتنفه من أحداث ومشاكل ، ويسجل جميع خواطره وكل آرائه في معالجة ذلك ، أو يكتفي أحيانا بسرد وصف دقيق لها ، بل هو يمضي في أكثر معانيه في الوصف الدقيق لخلجات نفسه ، ولمظاهر الطبيعة المحيطة به . ثم هو لا يكف عن استنكار كل ما يعترضه من الأحداث التي يسببها البشر ، والتي تأباها الانسانية والنفس العربية الأصيلة ، ويحمل عليها بالتنديد الشديد ، لمخالفتها للسمت والخلق العربيين ، فهو يفضل الطوي بالكرامة ، على الشبع بالذل ، ويستف ترب الأرض حتى لا يتعرض لمنة منان ، ويقنع بالزهيد من القوت ويتحمل في سبيل ذلك من الهموم ما تنوء بحمله الجبال ، ويفضل الضرب في وجه الأرض على البقاء في مهانة وذلة ، ومواجهة المنايا في حروب ضروس ، ومعارك عوان بين طلس من الذئاب ، في مهامه قفر . وهو سعيد بحياته بين الغنى والفقر ، دون أن يجزع .. يعتز بقدرته على العدو السريع ، عاري الأشاجع ، كابنة الرمل(١) . وهو لا يفعل ذلك عن جبن أو خوف ، ولكنه الحزم الذي تقتضيه الأمور ، كما أنه يعتز بالصبر الجميل الذي يواجه به المكاره والأحداث ، كل ذلك مع الحزم وحسن الرأي والتبصر في الأمور ، فيقول :

أديم مطال الجــوع حتى أميته
وأضرب عنــه الذكر صفحاً ، فأذهل
وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
علي من الطّول أمرؤ ، متطــول
ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب
يعاش به الا لــدىّ ، ومأكــل
ولكن نفسا حــرة لا تقيم بــي
على الضيم ، الا ريثمــا أتحــول
وأغدو على القوت الزهيد كما غــدا
أزل تهــاواه التنائــف أطحــل
وتشرب أسْآرى القطــا الكدر بعدما
سرت قرباً ، أحشاؤهــا تتصلصل
وآلف وجــه الأرض عند افتراشها
بأهــدأ تنبيــه ، سناسن قحّــل
فان تبتئس بالشنفري أمّ قسطــل
لمــا اغتبطت بالشنفري قبل أطول
فلا تزدهي الاجهال حلمي ولا أرى
سئولا بأعقاب الأقاويــل أنمــل
فأيمت نسوانــا وأيتمــت ولــدة
وعدت كما ابدأت ، والليــل أليل
ويوم من الشّعرى يــذوب لوابــه
أفاعيه في رمضائــه ، تتململ
نصبت لــه وجهي ولا كنّ دونه
ولا ستر الا الأتحمــيّ المرعبــل
ترود الأراوي الصحم حــولي كأنها
عذارى عليهــن المــلاء المــذيــل
ويركــدن بالآصال حولي كــأنني
من العصم أدفى ينتحي الكيح ، أعقل

وهناك مظهر من نوازع النفس العربية ، وطباعها ، تتجــلى في كثير من أبيات القصيدة ، فالشاعر يجــوع ويعرى ، ويصبر على العدم والغنى ، لا تطغيه النعمة حين تترى ، ولا يبطره الغنى وهو يدلف اليه ، ولا يخزيه الفقر اذ يرسى عليه بكلكله . ويعود الى اصالة الطبيعة في حياته من الكر والفر والقتال والنصال ، فهو يقول :

وإلف همــوم ما تــزال تعــود
عياداً كحمى الربــع ، أو هي أثقل
اذا وردت أصدرتهــا ثم انهــا
تثوب فتأتي من تحيت ، ومن عل

وهو في هذه الحال من المرض والحمى ، ومصارعة الداء ، يجابه ذلك كله بالصبر والعزم ، فيقول :

فاما تراني كابنة الرمــل ضاحيــا
عــلى رقــة أحفى ولا أتنعــل
فانــي لمولى الصبر أجتــاب بــزه
على مثل قلب السمع ، والحزم أفعل
وأعــدم أحياناً ، وأغــنى وانمــا
ينال الغنى ذو البعــدة المتبــذل
فــلا جزع مــن خلــة متكشــف
ولا مرح تحــت الــغنى أتخيــل

ويمضي صاحبنا في حياته التي ارتضاها لنفسه حركة ودأبا ، ويكشف عن طيات جوارحــه ورضائها بهذه الحياة ، فيضع تحت أبصارنا صورة ناطقة لها حين يسجل ذلك كله في قوله :

وقالوا لقد هرّت بليــل كلابنــا
فقلت أذئب عسّ ، أم عس فرعل (٢)

فماذا صنع لهذه النبأة التي أحسها ، والتي ريع لها الحي كله ، وهرت لها الكلاب ، ودوى بها المكان ؟!! انه يقول :

فلم يــك الا نبــأة ثم هومــت
فقلنا : قطاة ريع ، أم ريع أجدل !!؟
فأن يك من جــن لأبرح طارقاً
وان يك انسا ، ماكها الانس تفعل !!!

ويعود الى وصف الخوى والعفة والشجاعة والترفع ، فيقول :

وأغدو على القوت الزهيد كما غــدا
أزل تهــاداه التنــائف أطحــل
غدا طاويا للريح يعــرض هافيــا
يخوت بأذنــاب الشعاب ، ويعسل
فلما لواه القوت من حيث أمّــه
دعا ، فأجابته نظائر ، نحــل
فضج وضجــت بالــبراح كأنها
وإيــاه نوح فوق عليــاء تــكّل
وأغضى ، وأغضت وأتسى وأتست به
أرامــل عــزّاهــا وعــزّته أرمــل
شكا ، وشكت ثم ارعوى بعد ما ارعوت
وللصبر ان لم ينفع الشكــو أجمــل
وفــاء ، وفاءت بــادرات وكــلهــا
على نكــظ ، مما يكاتم ، مجمل
همـمت وهمت وابتــدرنا وأسدلــت
وشمــر مــنى فــارط متمهــل
توليت عنهــا ، وهي تكبو لعقره
يباشره منها ، ذقــون ، وحــوصل
كــأن وغاها حجــرتيــه وحوله
أضاميم مــن سفــر القبائل نزّل
توافين مــن شتى اليهــا فضمهــا
كما ضم اذواد الأصاريــم ، منهل
فعبت غشاشا ثم مــرت كــأنهـا
مع الصبح ركب من احاظة ، مجفل

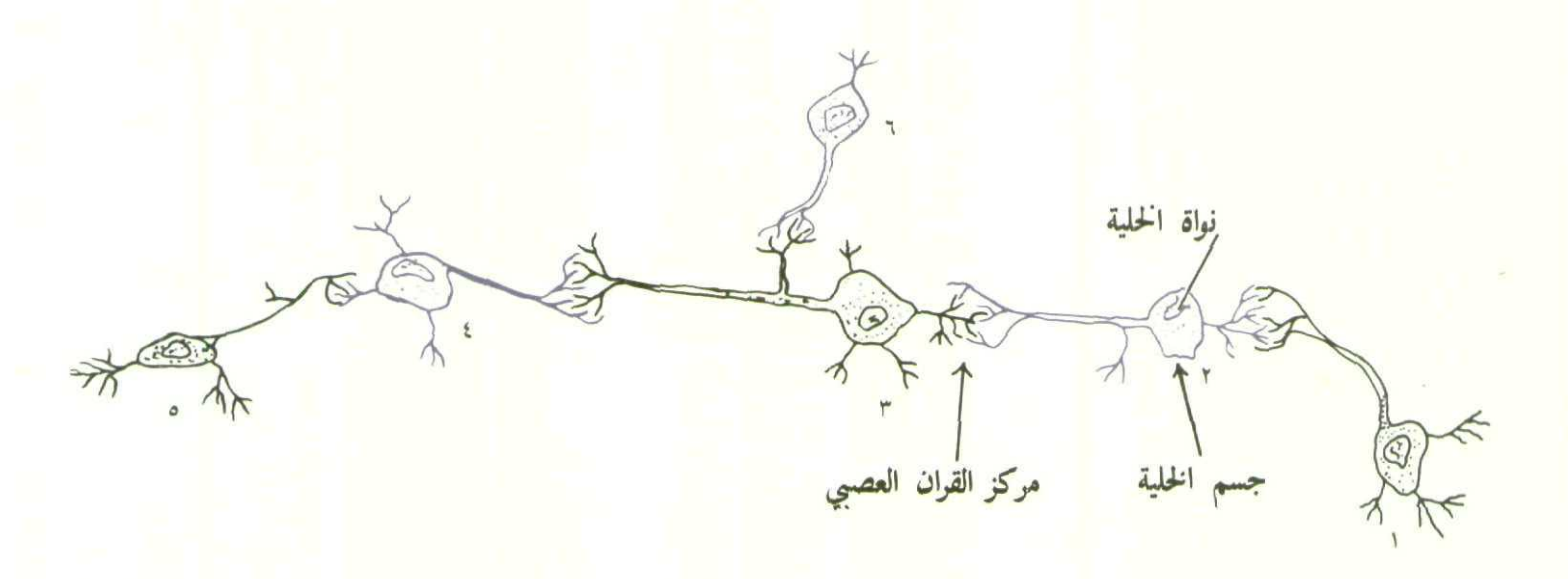
وفي هذه الألفاظ التي تتمثل في الفخامة والجزالة يسجل الشاعر خواطره الصريحة نحو لون واضح من ألوان الحياة التي يعيشها ، هو من مصاحبة الجوع تحت وطأة الريح العاتية ، والطير ، من جوارح وكواسر ، تحط على الماء للسقيا بعد سفر في أعقاب سفر !

ويختم الشاعر العداء — الشنفري — قصيدته بما تقدم من الوصف الدقيق لأبرز ما اشتهر به ، وعرف عنه من تلك الخصال المنبعثة من صميم الصحراء ، وطبيعة البداوة ، وافتخاره بسرعة العدو التي يزعم بها أنه يسبق أنثى الوعول حيث يركدن حوله بالآصال ، وكأنه من العصم في الموضع الذي لا ينال له فيه غبار ■

(١) هي الحية أو بقر الوحش . (٢) ولد الضبع .

الحواس ووظائفها عند مختلف الكائنات

بقلم الدكتور عبد المنعم تلحوق



رسم يمثل ست خلايا عصبية متتابعة، تظهر فيه أجسام الخلايا وجذورها المتشابكة المتشعبة والقران العصبي الذي يفصل الخلية عن الأخرى .

تتميز الخلايا العصبية عن باقي أنواع خلايا الجسم في جميع الحيوانات بطولها الذي قد يصل الى عشرات المليمترات ، في حين أن طول خلايا باقي الأنسجة لا يتعدى سوى ميكرونات(١) قليلة . كما تتميز كل خليّة عصبية بأنها منفصلة تماما عن الخلية التي تسبقها والتي تليها بفاصل صغير جدا ، يعرف علميا « بالقران العصبي » ، ويقاس بجزء من الميكرون . كما أن لكل خليّة من الخلايا العصبية جسم وسطي يحوي نواة الخلية ، وتتشعب منه أطراف تنتهي بما يشبه جذور النبات ، وتتداخل كل منها بجذور الخلية المجاورة دون لمسها . ومن مميزات الخلايا العصبية أن مجموعة منها تمتدّ في اتجاه واحد لتشكل أعصابا مختلفة السّمك ، وكل عصب منها مغلّف بغلاف عازل أشبه بأحد الأسلاك النحاسية المستخدمة في أغراض الهاتف الآلي .

والجهاز العصبي في جميع الحيوانات المتعدّدة الخلايا ، تتصاعد درجة تعقّده حسب درجة تطور نوع الحيوان نفسه . ففي الاسفنج والحيوانات اللافقرية ، «كقنديل البحر » مثلا ، وكلاهما من أدنى أنواع فصائل المخلوقات في سلم النشوء والتطور ، يبدو الجهاز العصبي فيهما بشكل موزّع ، اذ أنهما يفتقران الى تجمع عصبي ينذر بظهور الدماغ . وهذا أمر طبيعي لأن هذا النوع من الحيوانات عديم الرأس . أما بالنسبة للحيوانات ذات الخلية الواحدة فانها تخلو من الجهاز العصبي ، غير أن لدى بعض أجزائها شيئا من الحساسية للنور ، كما ان أجزاء أخرى منها تتأثر ببعض المواد الكيماوية ، مما يضطر الخلية الى الابتعاد أو الاقتراب من هذه المواد حسب ملاءمتها لها . وهذا الأمر يؤكد لنا وجود مناطق حساسة بدائية حتى لدى أدنى الحيوانات وأبسطها .

ولعل ظهور تجمّع الأعصاب في فصيلة الديدان المفلطحة يعود الى كونها أولى الحيوانات التي انعتقت من الشكل المستدير ، والتي تميّزت بوجود رأس وذنب لها ، فيظهر فيها تجمع الأعصاب على شكل حلقة تقع حول الطرف الأمامي للجهاز الهضمي وراء فتحة الفم ، وتقوم بوظائف الدماغ . والدماغ في جميع الحيوانات يمثل المركز الذي تنتقل اليه الدوافع أو البواعث الخارجية من مراكز الحواس — كالعين واللسان والأنف والأذن والجلد— ليفسّر تلك البواعث على حقيقتها . وما العين في الجسم سوى نافذة لدخول النور الذي « يرى » في الدماغ . فحقيقة الأمر أن العين نفسها لا ترى ، وكذلك الأذن لا تسمع ، بل هي مدخل لموجات الهواء التي تصل الى مركز معيّن في الدماغ عبر عصب السمع في الأذن الداخلية . وهذا المركز يفسرها بدوره على هيئة صوت . والأمر كذلك أيضا بالنسبة لباقي الحواس .

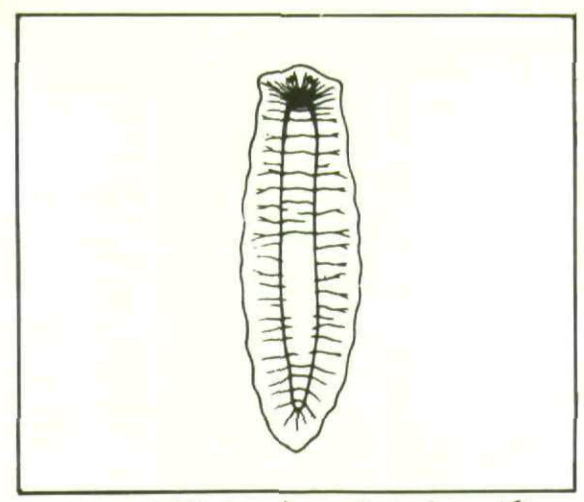
---

(١) الميكرون يساوي جزءا واحدا من ألف جزء من المليمتر .

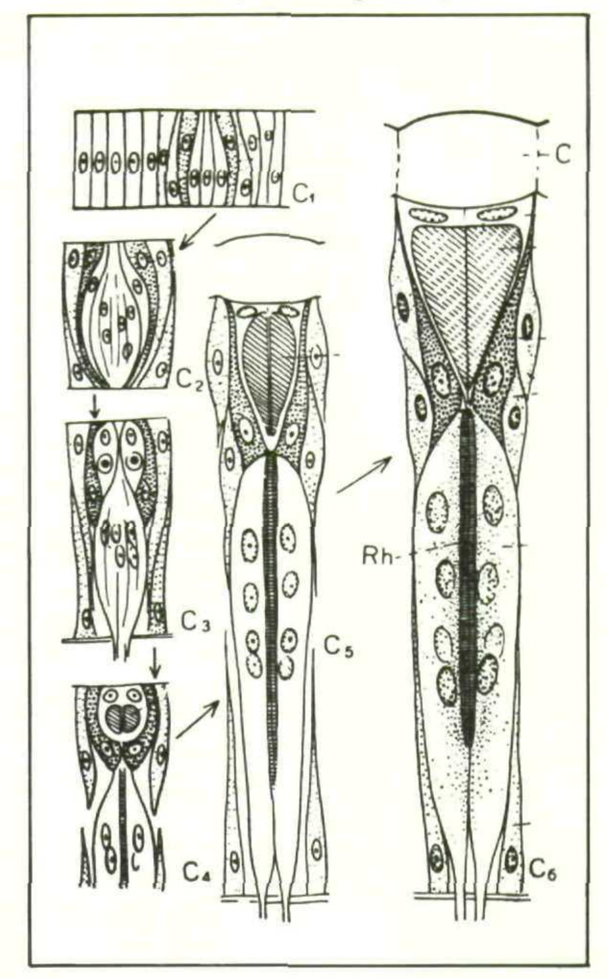
أما كيفية دخـول البواعث والمؤثرات الخارجية عبر الحواس فيختلف باختلاف طبيعة تلك البواعث نفسها . وأكثر ما يبعث على الدهشة والاستغراب هو التطور الذي طرأ على أجزاء معينة في جسم الحيوان ، فجعلها بمثابة منفذ يسمح بدخول البواعث والمؤثرات الخارجية اليه ، لا سيما البواعث التي قد يكون لها تأثير على مجرى حياة الحيوان . فالجزء الذي تتجمع تحته أعصاب البصر ، عوضا عن أن يغطى باللحم والجلد العادي ، أصبح مغطى بطبقة قرنية شفافة تسمح بدخول موجات النور لتنعكس على أطراف خلايا عصبية خاصة داخل العين متصلة بدورها بعصب البصر ، فيقودها هذا الأخير الى مركز البصر في الدماغ . أما حاستي الشم والذوق لدى الحيوانات البرية الراقية ، فقد تولدتا نتيجة تطوّر طرأ على الغلاف الخارجي الكائن فوق تجمع أعصاب حساسة داخل الأنف واللسان على التوالي . وقد جاء هذا التطور نتيجة لوجود بقعة معيّنة مبلّلة بالسائل المخاطي في الأنف وباللعاب في اللسان . ففي الأولى تذوب الأبخرة والمواد الغازية ، وفي الثانية تذوب المركبات الصلبة ، ثم تنتقل تلك المواد الذائبة حتى تلامس أطراف أعصاب الشم والذوق ، التي تقود الباعث الى المركز المخصص في الدماغ ، حيث يتم بواسطته تمييز الطعم أو الرائحة .

ولا بد لنا أن نذكر هنا بعض الشيء عن عملية انتقال الدوافع الخارجية عبر الأعصاب الى الدماغ ، ومنه الى العضلات ، لتقوم بدورها بتحريك الحيوان ، أو تحريك أحد أعضائه .

سبق ان قلنا أن الأعصاب تتألف من عدد من الخلايا العصبية المنفصلة بعضها عن البعض الآخر بواسطة فاصل يعرف بالقران العصبي الدقيق . فعندما تتعرّض الخلية الأولى المتصلة بنافذة السمع أو البصر أو غيرها من الحواس ، لدافع خارجي ، يتولّد على سطح الخلية هذه تيار كهربائي خفيف ينقل بدوره تأثير هذا الدافع الى الطرف الآخر من الخلية ، حيث تقوم الخلية بصنع مادة كيماوية معقدة تدعى « استيل كولين » ، التي تسمح للدافع الخارجي باجتياز القران العصبي والانتقال الى الخلية الثانية . وفي سرعة مذهلة تتفكك مادة « الاستيل كولين » الكيماوية ليعود القران العصبي فيفصل بـين الخليتين . وفي الوقت نفسه ، ينتقل الدافع عبر الخلية الثانية ، فتصنع هذه بدورها مادة « الاستيل كولين » لينتقل الدافع الى الخلية الثالثة ، وهكذا

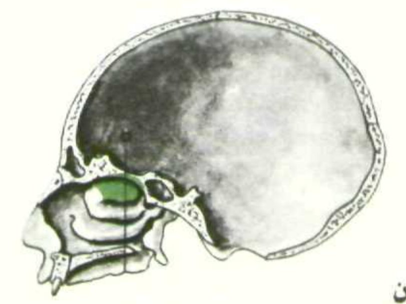


شكل يبين الجهاز العصبي في دودة مفلطحة من نـوع « بلاناريا » حيث تبدو الخلايا العصبية كثيفة عند منطقة الرأس وقليلة في منطقة الذنب .

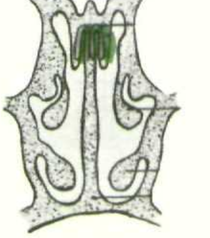


ستة رسوم تري كيفية اتصال الخلايا العصبية بمركز البصر في دماغ جنين حشري ، وتمكن هـذه الخلايا من صنع القرنية الشفافة « C » في الرسمين « C–5 » و « C–6 ». وفي الرسم « C–6 » تبدو الخلية متصلة بالقرنية الشفافة من الأعلى ثم بالقضيب الداخلي « Rh » الذي ينتهي بعصب ينقل دافـع النور الى الدمـاغ الذي يتولى بدوره تفسيره عـلى حقيقته .

جمجمة الغزال



جمجمة الانسان



تجاويف الانسان

تجاويف الغزال

تنعكس أهمية حاسة الشم لدى المخلوقات على مقدار الحيز المخصص لها في الدماغ . وتبرز هذه الظاهرة بوضوح في الشكل العلوي الذي يمثل جمجمة انسان وجمجمة غزال ، حيث يبدو الحيز في جمجمة الغزال باللون الأخضر أكبر منه في جمجمة الانسان . بينما يظهر الشكل السفلي أن التجاويف الأنفية لدى الغزال أكثر منها لدى الانسان .

الى أن يصل الدافع بسرعة الكهرباء الى المركز المختص بالدماغ ، الذي يقوم بتفسيره ونقله ، بالطريقة والسرعة نفسيهما عن طريق أعصاب أخرى ، الى اللسان مثلا ليشعره بما اذا كانت المادة الذائبة حلوة أو مالحة أو مرّة أو حامضة . أما سبب بقاء الطعم الحلو أو الحامض مددا متفاوتة في الفم فيعود الى الكمية المستطعمة المذابة ، والتي وصلت الى أعصاب اللسان ، وبالتالي الى عصب الذوق .. فكلما ازدادت تلك الكمية دام طعمها في الفم .

وكذلك يكمن السر في رؤيتنا للأشياء المتحركة ، رغم السرعة التي تمرّ بها ، في قدرة خلايا أعصاب البصر العديدة على سرعة التخلّص من دافع النور الذي يمرّ بها ، فبمجرد قفل الجفون تمحى الصورة التي كنا ننظر اليها لدقائق ، وذلك بفضل سرعة تفكك مادة « الاستيل كولين » تمهيدا لجعل الخلايا جاهزة مرة أخرى لاستقبال دافع آخر . وينطبق هذا تماما على أعصاب حاسة الذوق التي تتخلص من طعم عصير الليمون مثلا لاستقبال طعم القهوة ، بمجرّد احتسائها .

وهذه المزية – أي الشعور بالدوافع والتخلص منها بسرعة فائقة ، بواسطة صنع مادة « الاستيل كولين » وتفككه ، تتمتع بها جميع الخلايا العصبية كخلايا أعصاب السمع والبصر واللمس الكامنة في جسم الانسان وفي أجسام الحيوانات ، كالبعوض والصقور والأسماك والأرانب وغيرها .

وفي حال تعرض الخلايا العصبية لأي طارىء يفقدها القدرة على افراز مادة « الاستيل كولين » الكيمائية لدى انتقال الباعث من خلية الى أخرى ، فان حاسة الحيوان تفقد شيئا من فعاليتها وقد يترتب على ذلك اصابة الحيوان بالطرش أو العمى أو الكساح . وهذا يتوقف على مدى اصابة الأعصاب ، ودرجة العطل الذي لحق بها .

واذا فقدت هذه الخلايا قدرتها على تفكيك مادة « الاستيل كولين » بعد انتقال الباعث الخارجي من خلية الى أخرى فانها تبقى مهيجة بالباعث المذكور ، مما يؤدي الى تشويش في فهم البواعث أو استنزاف طاقتها المخزونة بسرعة .

وهذا غالبا ما يعرض حياة الحيوان الى الموت .. تماما كما يحدث للحشرات ولبعض الحيوانات الأخرى لدى ملامستها للمركبات الفسفورية العضوية التي تبطل افراز مادة « الاستيل كولين » المفككة .

ذكرنا في مستهل البحث أن أسباب ظهور الحواس في الحيوانات تعود لتحديد موقف هذه الحيوانات من البيئة التي تعيش فيها وتتكيف معها . فالحواس هي التي تساعدها على الوصول الى غذائها ، وعلى الهرب من أعدائها ، وعلى بلوغ أزواجها . ويخطئ المرء كثيرا عندما يتصوّر بأن حواس الحيوانات شبيهة بحواس الانسان .. فبينما يعتمد الانسان على حاسة البصر في اكتشاف محيطه ، تعتمد المخلوقات الحيوانية الأرضية على حاسة الشم في اكتشاف محيطها .

أما الحيوانات التي استقامت في وضعها كالانسان ، أو التي ارتفعت في حياتها اليومية عن التراب كالطيور والخفافيش فانها تعتمد في اقتفائها أثر أقرانها وأعدائها والحصول على غذائها على حاستي البصر والسمع أو على احداهما ، أكثر من اعتمادها على حاسة الشم . وتنعكس أهمية حاسة الشم لدى الحيوان على مقدار الحيز المخصص لها في دماغه بالنسبة لوزنه . فالكلاب البوليسية المدرّبة لاقتفاء آثار المجرمين يمكنها

أن تلتقط رائحة الحوامض الدهنية (العرق) حتى ولو مددت هذه الدهنيات الى جزء واحد من عشرة ملايين جزء من الحد الأدنى الذي يشمّه الانسان . أما قوة النظر لدى الكلاب فلا تتعدى بضعة أمتار . ولحدة حاسة الشم لدى الكلاب وضعف حاسة النظر يمكننا القول بأنها تشم طريقها عوضا عن أن تراه . أما حاسة السمع عندهـا فتفوق حاسة السمع عند الانسان بما لا يقلّ عن ثمانية أضعاف ، وهذا ما يجعلها تتنبه لأقلّ حركة غريبة ، ويجعلها ذات فائدة في حراسة المنازل .

وبالمقارنة بين مقدرة النحل والفراش — وكلاهما يتغذى برحيق الأزهار — على تذوّق المحاليل السكرية ، نجد أن النحل يرشف المحاليل السكرية التي يفوق تركيزها نحو مائة مرة تركيز المحاليل التي ترشفها الفراشة . وهذا أمر معقول ، اذ أن النحلة تصرف مجهودا جسمانيا كبيرا في طيرانها لجني الرحيق ، ثم في تكثيفه لدى تحويله الى عسل ، لذلك فهي تعرض عن ارتشاف السوائل السكرية الممددة ، والا اضطرت لبذل مجهود أكبر في تكثيف الرحيق وتحويله الى غذاء .

وتكمن حاسة الذوق عند الذباب فـي أطراف أرجلها وتتصل بمركـز الذوق في دماغها بواسطة أعصاب التذوق . لذلك فانها ، لكي تتذوق طعم المادة التي تنوي تناولها ، تدوس بأرجلها عليها . فان راق لها طعمها مدّت ممصّها وبصقت منه عليها فأذابتهـا ثم ارتشفتها .

أما بالنسبة للأسماك فلكونها تقضي طوال حياتها وسط الماء ، فقد حبا الله بعضها ، بالاضافة الى لسانها ، بمراكز خارجية للتذوق موزعة على جوانب جسمها ومربوطة بأعصاب متصلة بدماغها تمكّنها من تذوّق المواد المحلولة في المياه . فان راق لها طعم تلك المواد انجذبت نحوها ، وكلما اقتربت من مكان تركيز المادة ازداد اجتذابها لها ، الى أن تصلها ، وتلتهمها . أما حاسة الشم عند السمكة فمعدومة تماما ، وذلك لأن الروائح تنتقل في الهواء على شكل ذرات .

أما الحشرات التي تعيش بشكل جماعات — ومنها الجراد الصحراوي — فتعتمد فـي تنقلاتها وتحركاتها على روائح خاصة تنشرها حولها في الهواء أثناء زحفها وطيرانها . وهذه الروائح تضمن عامل التماسك في السرب الواحد ، والابقاء على خط سير موحد أثناء الطيران والهبوط والزحف .

(G)

تتمثل حاسة الذوق عند الأسماك في مراكز خارجية موزعة على أطراف أجسامها ، كما يظهر ذلك المقطع العرضي في الشكل السفلي . أما الشكل العلوي فيري كيف انجذبت هـذه السمكة التي غشى بصرها في المختبر ، نحو المادة الغذائية (G) بعد أن لامستها مراكز التذوق الكامنة في ذيلها ..

وافراز الروائح خاصة موجودة في النمل تلاحظ بسهولة عندما تلتقي نملتان ، احداها خارجة من وكرها والثانية عائدة اليه ، فتلامس احداهما الأخرى « لتشـم هويتها » بقصد التأكد من الأخوة . وتتجنّب نملة من الجنس أو النوع نفسه المرور في الممرّ الذي يسلكه أفراد وكر آخر ، وذلك تجنبا لحدوث أي اصطدام أو قتال بينهما .

هنالك أنواع من الحيوانات لديها حواس خاصة تكاد تكون معدومة فـي البعض الآخر . فعلى جسم البعوضة الأنثى مثلا مساحات مجهرية تتأثر تأثرا شديدا بوجود الرطوبة في محيطها . الأمر الذي يساعدها على اكتشاف المكان المناسب لوضع بيضها ويكفل الحياة ليرقاتها . وهذه الحاسة تكاد تكون معدومة في المخلوقات التي تعيش على سطح التراب أو تحته ، بينما توجد في الحيوانات التي تعتمد على الماء في وضع بيضها ، أو في مهاجمة مخلوقات أخرى تعيش على سطحه أو ضفافه .

نرى مما تقدم أن الجهاز الحسّي في جميع الحيوانات يعمل أساسا بطريقة واحدة ، مهما كانت الفوارق في درجة رقيّ تلك الحيوانات . بيد أن الحواس تختلف في دقتها باختلاف أنواع الحيوانات ، وان كلاّ من هذه الحواس تقوم بأفضل ما يلائم الحيوان في طريقة تفاعله وتكيفه مع محيطه وبيئته ، وما يكفل لجنسه وفصيلته البقاء .. وما أعظم قدرة الباري جل وعلا ■

بريد الخليفة

بقلم الاستاذ عبد الله حشيمة

في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان : غزا عقبة بن نافع أفريقية الشمالية ، وتبعه زهير بن قيس ، وساء مصير الاثنين .

وكان السبب اهمال شأن المواصلات ، وعدم الحفاظ على قواعدها ، الأمر الذي فطن له خلفهما حسّان بن النعمان ، ووجد حلا له .

* * *

— وبعد ، يا حسّان ... يجب أن ننتهي من أفريقية الشمالية . وبعد عقبة وزهير يؤدي من يعهد في نفسه الكفاءة رسالة الاسلام فيها .

قال الخليفة عبد الملك بن مروان هذا لحسّان ابن النعمان ، أحد كبار قوّاده ورجال دولته ، بكثير من الهمّ والجدّ ، فقال حسّان :

— أنا لها ، يا أمير المؤمنين .

وارتاحت نفس عبد الملك الى قوله ، وقد عرفه من الذين اذا قالوا فعلوا ، وممن جمع في فعله بين الجرأة ورجاحة العقل والعلم . قال :

— وخير من يؤدي الرسالة أنت . وبهذا يتاح لك وضع الحل الذي ارتأيته لمشكلة المواصلات ، والحفاظ على قواعدها وطرقها ، موضع العمل .. فالنشاط الذي بذلته حتى الآن ، في اعداد جهاز الارتباط وتنظيمه وتدريبه ، يؤكد على أنك ستوفق في حملتك باذن الله ، وأرجو أن توافينا بأخبار توفيقك لدى كل سانحة .

— سيصل الى أمير المؤمنين تقرير أسبوعي عن أعمالي وبصورة منتظمة .

قال عبد الملك دهشا :

— تقرير أسبوعي ، وبصورة منتظمة ، من أفريقية الشمالية ؟ !

— أجل ، يا أمير المؤمنين .

— كيف هذا ؟

— عندما ارتأيت انشاء جهاز الارتباط ، قلت : يؤمن هذا الجهاز المواصلات بين وحدات الحامية وقيادة الجيش الزاحف من جهة ، وبين هذه القيادة ودار الخلافة من جهة أخرى ، بحيث يكون من شأن جهاز الارتباط وعمله أن يوصل تقاريري الأسبوعية بانتظام الى هنا .

قال عبد الملك معجبا :

— حسنا تأتي بهذا يا حسّان ، فاشرح لي الخطوط الرئيسية للتنظيم الذي وصفته لجهازك .

قال حسّان شارحا :

— الخطوط الرئيسية .. سأبدأ من هنا انشاء مراكز لجهازي ، يبعد الواحد منها عن الآخر مسيرة ساعات محدودة متوازية ، وتمتد هذه المراكز على طول الطريق التي يسلكها الجيش في زحفه ، ويؤمن الاتصال المنتظم فيما بينها فرسان مدرّبون على السرعة في السير ، وتحاشي أخطار الطريق ، والخروج من المآزق .

قال عبد الملك مرتاحاً :

— أفهم .

وتابع حسان الشرح :

— .. فاذا خرج أحدهم بأمر أو برسالة أو بتقرير عن حالة ما ، قطع المسافة التي تفصل المركز الذي خرج منه عن أقرب المراكز اليه



بسرعة وبدون توقف ، وسلّم الأمر أو الرسالة أو التقرير فارساً آخر على أهبة السير هناك ، ومضى هذا بما تسلّم وبدون أن يتوقف الى المركز التالي ، وهكذا دواليك ليل نهار .

وبلغ ارتياح عبد الملك الى ما سمع الذروة ، وقد بات واثقا بأن عملا تاريخيا عظيما سيحدث في عهده . قال :

— حسن حلك هذا لمشكلة المواصلات ، فسيساعدنا باذن الله على تذليل الكثير من العقبات التي حالت دون تمكين صلاتنا بأرض الخلافة الواسعة .

قال حسّان :

— وأكثر من ذلك ، يا أمير المؤمنين .

— وما أكثر من ذلك ؟ !

— سيكون من مهمة قادة المراكز جمع المعلومات ، عن كل ما يهمّ الاطلاع عليه من الأحداث والشؤون ، وبسرية تامة توضع التقارير عن هذه المعلومات ، وترسل الى المراجع المختصة بالطريقة المتقدمة . ولدى تعميم هذه الطريقة في أرض الخلافة لا يبقى ثمة أمر تفوت معرفته ، ولا الاسراع في معالجة الأمور على ضوء هذه المعرفة.

— على الله الاتكال ، يا حسّان .

* * *

ترامت أطراف أرض الخلافة في عهد دولة الأمويين ، كما لم تترام أطراف أرض دولة أخرى ، فكان ذلك مما أدى الى تعقيد مشكلة المواصلات ، على مختلف

الصور الادارية والسياسية والاقتصادية ، وبخاصة على الصعيد العسكري .

وحمل المسؤولون الهمّ ، وحمله الشعب على اختلاف طبقاته .

وفي منزل من منازل أحد الأوساط الشعبية ، كانت « سلمى » ربة المنزل تتبرم بهذه المشكلة . قالت لزوجها :

— رضيت ، يا عبد الله أن يمضي ولدنا الى الحرب ، وأن نحرم رؤيته طوال أشهر وسنين ، طالما أنه رجل كتب عليه الجهاد ، وأما أن أرضى انقطاع أخباره مثل هذا الانقطاع عنا فلا ..

قال عبد الله مهدئاً :

— على رسلك ، يا سلمى .. ما مرّ على رحيل ولدنا عنا زمن يدعو الى مثل هذا القلق عليه .

قالت بلهجة تأنيب :

— ستة أشهر ليست بالزمن الذي يدعو الى القلق في نظرك ؟ !

قال متابعاً قوله السابق :

— والأخبار التي يتلقاها الخليفة تباعاً تؤكد على أن النصر حليف جيشنا ؛ والقائد حسّان يدير بحنكة وحكمة حركاته الحربية ، مما يحمل على الاطمئنان الى أن ما حل بقوات عقبة وزهير من قبل لن يحل بقواته .

— هذا حسن ، وحسن كذلك أن أتلقى من ولدي ولو كلمة تبرد لاعج شوقي اليه .. وما دامت هناك طريقة يتلقى الخليفه بها الأخبار تباعاً ، فما ضرّ أن يكون لنا نحن ذوي الجنود المحاربين من نعمة هذه الطريقة المبتكرة نصيب ؟

— الحق معك يا سلمى ، ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

— يجب أن ينبه الخليفة الى هذا ، وما أنا من يستسهل الوصول اليه لتنبيهه .

— أنا أفعل .

قال عبد الله دهشا :

— ماذا .. ماذا تفعلين ؟

قالت ، والجرأة في قولها :

— أمضي الى الخليفة ، وأقول له : أنا أم جندي يقاتل في سبيل الله في أفريقية الشمالية ، وأريد رسالة من ولدي بالطريقة التي يتلقى أمير المؤمنين بها رسائله .

— وتجرؤين على مطالبته بهذا ؟

— أكون أم ولد يحمل السلاح مجاهداً في سبيل الله وأخاف ؟ !

— وان رفض الخليفة طلبك ؟

— لا أراه يفعل .

— وما الذي يجعلك تثقين في ذلك ؟

— يذكر أن له أماً ، ومن حرم أم غيره حقاً من أقدس حقوقها في ولدها ، فقد حرم أمه نفسها هذا الحق ، وأمير المؤمنين لا يمكن أن يكون غير بر بأمه .

وأردفت قائلة :

— سأمضي على الفور اليه .

* * *

قال حسّان للخليفة : سيصلك تقرير أسبوعي مني ، بصورة منتظمة . وكان ما قال . وتوالت التقارير . وفي كل منها أخبار جديدة عن سير الحملة التي كان حسّان على رأسها ، تبعث الطمأنينة والارتياح في نفس الخليفة ، وآخرها كان خبر الاستيلاء على مدينة « قرطاجة » .

وهم عبد الملك الخبر ، فقال لسليمان ، أحد كبار رجاله ومعاونيه :

— قرطاجة .. أعلم أنها احدى أعرق عواصم الأمم عمراناً وسؤدداً ، وأنت يا سليمان عرفتها أثناء وجودك في أفريقية الشمالية ، فما حالها اليوم ؟

قال سليمان :

— لقد فقدت قرطاجة صفتها كعاصمة لدولة كبرى ، كما كانت في عهد دولتها التي دوّخت في وقت من الأوقات « رومة » ، الا أنها لم تفقد أهميتها كمدينة ذات مركز ممتاز من الوجهة الحربية .

— يكون استيلاء حسّان عليها اذن ذا قيمة تستحق التقدير .

وسيحاول العدو استردادها بكل ما لديه من قوة ، اذ أنه بفقدها فقد أهم نقطة ارتكاز لقوته البحرية ، فضلا عن قاعدة لا غنى عنها من قواعد مواصلاته .

قال عبد الملك ضاحكا :

— كنا نحن في همّ المواصلات وقواعدها وطرقها ، ولكن الله قيض هذا الحل الرائع الذي أوجده حسّان لمشكلتها .

وتابع بلهجة المقدّر :

— عندما قال حسّان : سيصلك تقرير أسبوعي مني ، خامرني الشك في تقديره الخطة التي رسمها لتحقيق هذا الغرض ، واذ أخذت تقاريره تـرد بانتظام ، كما قال ، ذهب عني الشك .

ودخل أحد الحجاب يعلن :

— في الباب امرأة تلح في طلب المثول بين يدي أمير المؤمنين .

قال عبد الملك :

— للمرأة ولا شك حاجة تحملها على هـذا الالحاح ، فدعها تدخل .

* * *

لم تكن المرأة التي دخلت على الخليفة غير « سلمى » الشاكية انقطاع أخبار ولدها عنها ، وكانت جريئة في دخولها ، كما في القائها التحية :

— السلام على أمير المؤمنين .

قال عبد الملك :

— وعليك السلام ، ورحمة الله وبركاته .. ما حاجتك ؟

قالت : اني يا أمير المؤمنين أم جندي يجاهد في صفوف المجاهدين تحت سماء أفريقية الشمالية .

قال : أنعم بمن أنت .

— ومنذ ستة أشهر غادر ولدي دمشق ، في حملة حسّان بن النعمان .. والى الآن لم يبعث الي بكلمة أطمئن بها الى مصيره .

— بسبب البعد هذا .

— لم تبق أفريقية الشمالية بعيدة من هنا على ما بلغني .

— كيف ؟

— لأمير المؤمنين بريد يحمل اليه الرسائل والتقاريرُ من هناك ، ويعود بالرسائل والتعليمات من هنا ، فما ضرّ أن لا يقتصر عمل « بريد الخليفة » على الناحية الرسمية ، وتشمل الافادة منه جنود الحملة وذويهم ؟

وسكت الخليفة لحظة .. وعيناه تنظران الى المرأة التي جاءت تنبّهه لأمر لا ضرر فيه ، وفيه على العكس الافادة كلها ، ثم قال :

— لا ضرر في ذلك ، يا امرأة .

وأردف قائلا :

— ما اسمك ؟

قالت : سلمى ، امرأة عبد الله التميمي .

— واسم ولدك ؟

— عدنان بن عبد الله .

— عدنان بن عبد الله التميمي .. عودي الى بيتك واكتبي له ، فيحمل « بريد الخليفة » كتابك اليه ، ويعود بكتاب عاجل منه اليك .

قالت فرحة :

— على الفور ، يا أمير المؤمنين .

وبعد انصرافها ، التفت عبد الملك الى سليمان ، وقال له مرتاحا :

— لقد أحسنت هذه المرأة بمجيئها الي ، والأمر الذي نبهتني اليه يستحق الاهتمام ، فما دعته « بريد الخليفة » .. تكون الافادة منه أعم وأوفر اذا ما أعطي لجنود الخلافة وذويهم أن يقربوا المسافات التي تباعدهم به ، ففي ذلك تخفيف لما يعانونه من آلام الحرمان .

قال سليمان :

— صحيح هذا ، يا أمير المؤمنين .

وبعد لحظة تفكير تابع الخليفة :

— أتدري بم أفكر بعد ، يا سليمان ؟

قال سليمان مهتماً :

— بم ، يا أمير المؤمنين ؟

— بتعميم البريد هذا في أرض الخلافة ، فلا يبقى أحد ممن لهم علينا حق لتسهيل الأمور ، وبخاصة أرباب الأعمال والمصالح ، غير قادر على الافادة منه .

وراقت سليمان الفكرة ، قال :

— ونعم العمل الخير .

قال عبد الملك ، وقد اطمأن الاطمئنان كله الى حسن عمله :

— نبدأ الآن العمل ... نحشد القوى اللازمة له هنا ، وندعو الولاة والعمال الى الاسهام فيـه بطاقاتهم ، فاذا تم أصبح باستطاعة كل من الرعايا التراسل بطريقة مضمونة منتظمة ، مع كل من تدعوه الحاجة الى التراسل معه ، في أنحاء أرض الخلافة على اتساع شقتها وبعد مسافاتها .

* * *

والفرحة الكبرى كانت فرحة سلمى ، فهي ما كادت تبعث بكتابها الى ولدها حتى تلقت جواب ولدها عنه ، فراحت تذيـع الخبر في الحي قائلة :

— للخليفة عبد الملك التأييد والعز .. لم يبق بيني وبين ولدي المجاهد في سبيل الله بعد شقة ، فأنا واياه على موعد لقاء دائم بعد الآن ، ولقاؤنا على صعيد الفكر والعاطفة والروح في ما نتبادل من رسائل .. وواسطة هذا اللقاء الخير «بريد الخليفة» ■

حصاد الكتب

ديوان العيد

هو أول ديوان شعري يخرجه الأديب والرحالة المهجري الأستاذ يوسف العيد المقيم في حاضرة الأرجنتين . والغريب في هذا الشاعر أنه لم يكتشف شاعريته الا في سن الستين ، فلما بلغ السبعين أخرج ديوانه هذا مكتوبا كله بخط جميل للخطاط ألبير شويري ، ومطبوعا طبعا أنيقا .

وكل شاعر مفتون بشعره ، مزهو بشاعريته . ولو تابعنا أسباب « العنجهية » عند الشعراء في القديم والحديث ، لما وجدنا بين الشعراء متواضعا الا خليل مطران القائل :

عندي الحائلان دون رفيع
القدر من قلة ومن اقلال
ما يرجّى من مشهدي أو مغيبي
ومكاني الا من الطيف خالي

أما الشعراء الآخرون ، فكلهم يهز الدنيا بشعره وكلهم أمير وان لم يؤمر ! يصف يوسف العيد نفسه مرددا :

أمير بأشعاري ولو نقّ وزان
ونسر ولو بالنعب تحتج غربان

والقيم عند الناس تختلف باختلاف ظروفها وأوضاعها . فالذي يعيش في الوطن ويقرأ كل يوم ما تخرجه المطابع من صحف ومجلات وكتب لا يحس بأن « لمنضد الحرف » في المطبعة فضلا يستحق الاطراء والاشادة . فهناك آلاف من أولئك المنضدين ، وان غاب منهم واحد خلفه عشرات بل مئات . أما في المهجر السحيق ، حيث انقرض جيل المهاجرين الأوائل وانحسر اللسان العربي في الأجيال الجديدة الطالعة ، فقد أصبح منضد الحروف العربية عملة نادرة لا يفرط فيها أصحاب المطابع .. فلا غرو أن يدير يوسف العيد احدى قصائده حول منضد الحروف فيخاطبه بقوله :

يا من تنضد للعلوم خرائدا
فاليك للتمجيد شعرا أمجدا
لولاك ما نشر المؤلف كتبه
في أحرف نضّدتها متجلدا
كم جولة فوق المناضد جلتها
في خدمة العرفان كنت الأجودا
كالفارس المغوار في ساح الوغى
أضحى لباسك في الطباعة أربدا

وموضوعات الديوان انما تمثل بحق مرحلة ما بعد الستين والى سن السبعين ، من حيث تغليب الفكر على العاطفة والمنطق على الخيال . أما الغزليات القليلة الواردة في الديوان فهي غزليات « متعقلة » خلت من « هوسة » شعراء الغزل الأقدمين والمحدثين.

وفي الديوان شعر في الحنين ، وقلما يخلو ديوان مهجري منه ، وفيه وطنيات وأخلاقيات ، وفيه مراث ، وفيه عرض شعري لاتجاه الشاعر في القريض . ولكن الديوان قد خلا من المطارحات بين الخلان — وما أكثرها في شعر المهجر — كما خلا من المداعبات الشعرية والمفاكهات ، مما قرأنا مثله في كل دواوين المهجريين ، ولا نستثني منهم شعراء الحماسة ، كالقروي وفرحات وصيدح .

و « ديوان العيد » يستحق دراسة عروضية ، ولكنه على كل حال صوت عربي صادر من وراء الاوقيانوس ، ويستحق الترحيب في أوطان الضاد جميعا .

التراث العربي

تجدد القول في موضوع التراث العربي وضرورة توثيق الارتباط به ، وشارك في تناول هذا الموضوع من جوانب شتى طائفة من المفكرين العرب ، منهم الدكتورة بنت الشاطيء (عائشة عبد الرحمن) والدكتور بدوي أحمد طبانة ، والدكتور صفاء خلوصي ، والدكتور أحمد هيكل ، والأساتذة عبد العزيز الرفاعي ، وعبد الرزاق البصير ، وعبد الحميد الحلوجي ، ونجيب المانع ، ونور الدين الواعظ . وان مجرد اثارة هذا الموضوع في ندوة من ندوات الأدب ، انما يعني أن هناك اتجاها داعيا الى الانفصال عن التراث واهدار قيمته . وأيا كانت قوة هذا الاتجاه أو ضعفه ، فان القضية تمس صميم الثقافة العربية ، ولا بد أن يتجرد للدفاع عنها الغيورون من سدنة الضاد وحراس عرينها في أمصارهم المختلفة .

فالدكتورة بنت الشاطيء ترى أن التراث العربي هو من عناصر العراقة في أمة الضاد ، وأن اطراح هذا التراث ، هو اطراح لمفخرة عظيمة شاد صروحها كبار العقول في متواليات القرون ، وهي ترى « أن الشعوب العريقة هيهات أن تعي ذاتها دون ادراك واع لمقومات أصالتها التي حققت وجودها على مسار التاريخ الطويل ، بل هيهات أن يصح وجودها المعاصر ما لم يقم على أساس من خصائصها الذاتية المادية والمعنوية التي تميز شخصيتها وتعطيها طابع الأصالة وسمات العراقة » .

كذلك يقول الدكتور بدوي طبانة « أن التراث العربي يمتاز بالخصب والأصالة ، وهو لمن ينعم النظر فيه كاف في جملته وتفصيلاته لتمثيل أمة عريقة في الحضارة ، شهدت لها الأمم واعترف بها الفاحصون عن اتجاهات التفكير الانساني » .

ويؤكد الدكتور أحمد هيكل « أن تراث العرب في الأخلاق والسياسة والاجتماع والتشريع يحوي مبادىء وقيما لم تستطع الأيام أن تعدو عليها أو تهز قواعدها ، بل ربما كان عكس ذلك ، حيث لم تزدها الأيام الا ثباتا وقوة وصحة » .

وبمثل هذه العبارات في تمجيد التراث ، تحدث سائر الباحثين الذين تصدوا لهذا الموضوع ، بل لقد قال الأستاذ عبد العزيز الرفاعي أن تراثنا « كان مطلا على العالم ، فأخذ عن الفرس والهند واليونان ، وأخذ في مستهل هذا القرن من الحضارة الحديثة ، ولكنه رغم اتصاله بأنواع من التراث ظل الى عهد قريب ذا وجه عربي محض ، محتفظا بخصائصه وطابعه وشخصيته » .

وثمة حقيقة حرص على تأكيدها الباحثون جميعا ، وهي أن الاستمساك بالتراث لا ينبغي أن يتأوله أحد بما يوحي بترك الحاضر والجمود عند الماضي السحيق ، بل ان هناك اجماعا على ضرورة ربط الحاضر بالماضي ، وبناء المستقبل على قواعد راسخة من دعائم التراث .

فالدكتور صفاء خلوصي يرجو أدباء العربية « أن يتجهوا صوب التطور دون هجر التراث . ولسنا ندعو دعوة مستحيلة ، انما ندعو الى اضافة ماضينا الى حاضرنا ومستقبلنا . فاذا نظرنا نظرة واحدة الى الوراء ، فلننظر نظرتين الى الأمام ».

والأستاذ عبد العزيز الرفاعي يقول « أنا لا أدعو الى انعزال التراث العربي بحيث لا يستمد روافد فكرية جديدة ، وبحيث لا يلاحق وجوه التطور الفكري في العالم وفي التراث الانساني المتنوع . فان دعوة كهذه هي دعوة الى تجميد التراث والى تجميدنا نحن وفصلنا عن العالم لنكون أمة أثرية » .

ويرى الدكتور هيكل أن التراث العربي ينبغي أن يتعرض لغربلة شاملة ، تأخذ منه كل

ما ينفع حياتنا ويرفد فكرنا » ثم نضيف الى ذلك كله ما وصل اليه الانسان في كل مكان من نتائج رائعة في الفكر والفن ، فاتحين عقولنا وقلوبنا جميعا على ما تربحه الانسانية في تطورها الرائع من مكاسب تتضاعف كل يوم ، على أن يتم ذلك كله ونحن مدركون لحقيقتنا العربية بكل ماضيها وحاضرها وبكل مشكلاتنا الزمانية والمكانية » .

وتقول الدكتورة بنت الشاطيء « من ماضينا يكون منطلقنا الى مرحلة تبدأ من حيث انتهى أمسنا . واذا كان الوقوف الجامد عند ما انتهى اليه شوط أسلافنا خروجا على قانون التطور ، فان بتر ذلك الماضي والانطلاق من فراغ مسخ لمفهوم التطور ... فلا بد من التدرج في الصعود الى أفق الكمال ولا بد من السعي الدائب نحو تحقيق الوجود الأسمى للعربي بكل أصالته وحيويته » .

واذا جاز لنا أن نضيف شيئا الى الآراء التي ساقها أولئك الذائدون عن التراث ، فلتكن لنا ملاحظتان ، هما :

أولا — ان العناية باخراج كتب التراث بعد تحقيقها وشرحها وضبطها ينبغي ألا تصرفنا عن العناية بترجمة كتب التراث التي تتناول العلوم والاجتماع والتاريخ والتشريع والفلسفة . وحسنا فعل المحتفلون بالذكرى المئوية لجامعة بيروت الأميركية حين ترجموا الى اللغة الانكليزية كتابين من التراث العربي هما « تهذيب الأخلاق » لمسكويه وقد ترجمه الدكتور قسطنطين زريق ، وكتاب « تحديد نهايات الأماكن » للبيروني وقد أشرف على ترجمته الدكتور فؤاد صروف .

وثانيا — أن من الحقائق التجارية التي سمعناها من غير واحد من ناشري الكتب أن أروج الكتب الصادرة في هذه الأيام هي كتب التراث . ولا تعليل لهذه الظاهرة الا أن الناس في جمهرتهم يعودون الى الأصول حين تشبعهم الفروع ، ويطلبون الكتاب الذي لا تبلى جدته تاركين الكتب التي تلدها المناسبات ، أو لعل لهذه الظاهرة تعليلا آخر أشار اليه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في بحثه ، وهو أن هناك « أزمة تعبير » عند بعض المثقفين العرب الذين يكتبون كلاما يعز فهمه ويصطنعون أساليب يستعصي ادراكها . فكان رد الفعل لدى القاريء أن ينصرف عن جديد الكتب الى قديمها ، وهو لن يشبع من « الأغاني » ولن يرتوي من « ديوان البحتري » و « ديوان المتنبي » مهما أوغل في قراءتها معيدا ومستعيدا .

اخبار الكتب

* صدرت الطبعة الخامسة من معجم « المورد » باللغتين الانكليزية والعربية في أقل من ثلاثة أعوام ، وقد حرص واضعه الأستاذ منير البعلبكي على تنقيح هذه الطبعة لتكون أتم وأوفى من سابقاتها . كما ظهر « المعجم الذهبي : فارسي / عربي » للدكتور محمد التونجي .

* ومن كتب المراجع التي صدرت مؤخرا كتاب « حوليات العالم المعاصر لعام ١٩٦٩ » وقد سجل فيه مصنفه الأستاذ أحمد عطية الله أهم الأحداث التي وقعت في العالم في السنة الماضية .

* وضع الأديب الكبير الأستاذ عبد القدوس الانصاري كتابا عنوانه « أربعة أيام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي » أورد فيه جوانب خاصة عن حياة هذا الشاعر العراقي الكبير لم يتأت لباحث غيره أن وقف عليها . وقد صدر الكتاب بتحية شعرية طويلة من الأستاذ محمد سعيد العامودي .

* يعكف الدكتور فؤاد صروف على تدوين مذكراته الأدبية التي تتناول فترة تربي على أربعين عاما تتناول الحقائق الأدبية التي أتيح له الوقوف عليها بحكم اتصاله الوثيق بجميع أعلام الفكر في هذا القرن ابتداء برعيله الأول وانتهاء الى يومنا هذا . ولا ريب في أن هذه المذكرات ستكون ذخيرة حية للباحثين في الأدب المعاصر لا سيما وان صاحبها كان موضع الثقة الكاملة من جميع المفكرين الكبار ، كما كانت له مساهمات واسعة في الثقافة المعاصرة أدبا وعلما واجتماعا وتربية .

وفي الوقت عينه يصدر قريبا للأستاذ أنور الجندي كتاب عنوانه « صفحات مجهولة عن الأدب العربي المعاصر » يتناول تاريخ ما أهمله التاريخ من أخبار الحركة الأدبية .

* ومن الدراسات الأدبية الجديدة التي ظهرت « خواطر في الأدب » للأستاذ موسى سليمان ، و « أدبنا الضاحك » للأستاذ عبد الغني العطري ، و « تبقى الكلمة » وهو دراسات نقدية للأستاذ صلاح عبد الصبور . وفي الوقت نفسه يصدر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي كتابان أدبيان هما « الحياة الأدبية في عصر صدر الاسلام » ، و « البحوث الأدبية : مناهجها ومصادرها » .

* صدرت عن الأدب المهجري دراستان هما : «نظرة اجمالية في الأدب المهجري» للأستاذ عيسى الناعوري ، و « ظهور وتطور الأدب العربي في المهجر الأمريكي » ، وهو طبعة ثانية للأستاذ وديع رشيد الخوري .

* من الدواوين الجديدة التي ظهرت أخيرا : « همسات الليل الحزينة » لسمو الأمير عبدالمحسن ابن سعود بن عبد العزيز ، و « العشب الذي يموت » للأستاذ فؤاد رفقة ، و « يا جناني » ، و « مشيناها » ، و « هديل » وثلاثتها للدكتور سليمان النجار . كما صدر ديوان « ابن دهان الموصلي » بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري .

* صدرت للكاتب الكبير توفيق الحكيم ثلاثة كتب جديدة هي : «الساحر» و «المفكر» و «الفنان» .

* من الدراسات التاريخية الجديدة التي صدرت حديثا «حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية» للشيخ حسن با سلامه ، وقد ظهر في أربعة أجزاء وحققه الشيخ عمر عبد الجبار ، و « جبل طارق والعرب » للأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، و « خطباء صنعوا التاريخ » للأستاذ أنور أحمد و «الاسلام وحركة التاريخ » للأستاذ أنور الجندي.

* من كتب التربية التي صدرت مؤخرا « مدارسنا والتربية » لسعادة الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع ، وكيل وزارة المعارف السعودية ، تناول فيه خصائص الأمة الاسلامية وأهداف التربية ، و « القيادة التربوية » للأستاذ عبد الله الحصين ، وهو ضمن سلسلة الدراسات التربوية التي يصدرها الأساتذة عبد الله بوقس ، وعبدالرحمن التونسي ، ومحمد زكي عوض ، باشراف معالي الشيخ حسن آل الشيخ ، وسعادة الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع .

* أصدر سعادة الأستاذ فهد خالد السديري ، وكيل وزارة الاعلام السعودية للشئون الاعلامية ، كتابا جديدا بعنوان « المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق » وهو يبحث في جوانب مقومات المجتمع السليم وأسس تكوينه كما يتناول فيه مكانة المملكة تاريخيا وحضاريا ..

* أصدر الأستاذ فهد الربيعان كتابا جديدا بعنوان « أدب وشعر » تناول فيه حياة عدد من الشعراء والأدباء .

* صدر مؤخرا كتاب جديد للسيدة مزين حقي بعنوان « نساء صنعن التاريخ » .

* أعد القائد كمال سراج الدين ، مدير عام شؤون الضباط بوزارة الداخلية السعودية كتابا جديدا بعنوان « الدفاع المدني في المملكة العربية السعودية » ■



المسابح عبر التاريخ

تختلف وسائل التسرية والترويح عند الناس باختلاف عاداتهم وتقاليدهم .. فمنهم من يلجأ الى تناول اقراص الأسبرين وأصناف المسكّنات حين يعصف بهم القلق او تستبدّ بهم الهموم .. ومنهم من يعمد الى جيبه فيخرج منها مسبحة يسري بها عن نفسه ما يغالبه من مشاغل وما يساوره من أفكار ، وهذه ظاهرة ملموسة في بعض اقطار العالم العربي .

تتألف « المسبحة » أو « السبحة » من حبات متفاوتة الأحجام مصنوعة من خشب الأبنوس ، أو المحار ، أو الكهرمان ، أو العقيق ، أو المرجان ، أو خشب الزيتون ، أو الزجاج ، أو العاج ، أو غيرها من المواد الثمينة النادرة .. ويبلغ عدد هذه الحبات اما ثلاثا وثلاثين أو تسعا وتسعين حبة ، ينتظمها سمط دقيق ، ويفصل بين الحبة والأخرى فراغ يسمح لحاملها برفع الحبة وانزالها بابهامه وسبابته بسهولة .. وتتوالى حركة عد الحبات محدثة بذلك دقات هادئة منتظمة تحمل في ثنايا ايقاعها معاني عديدة قد تعبر عما يعتمل في خلجات النفس من خواطر وانفعالات تنم عن السأم ، أو التأمل ، أو التوتر العصبي ، أو نفاد الصبر ، أو الغضب وما الى ذلك من الانفعالات النفسية الأخرى . .

وتعتبر المسبحة بالنسبة للبعض امتدادا طبيعيا للشخصية ، ووسيلة يلجأ اليها في حل المشاكل والأزمات النفسية .

بيد أن المصادر التاريخية تشير الى أن المسبحة كانت لدى ظهورها في الأصل مرتبطة بطابع ديني ومتصلة بأمور العبادة ، اذ اتخذها الانسان أداة للتسبيح وترديد ذكر الله مع كل حبة من حباتها .. وتذكر المصادر أن المسبحة كانت معروفة عند العرب منذ القرن التاسع الميلادي ، حيث استعملها المسلمون في أغراض العبادة والذكر .

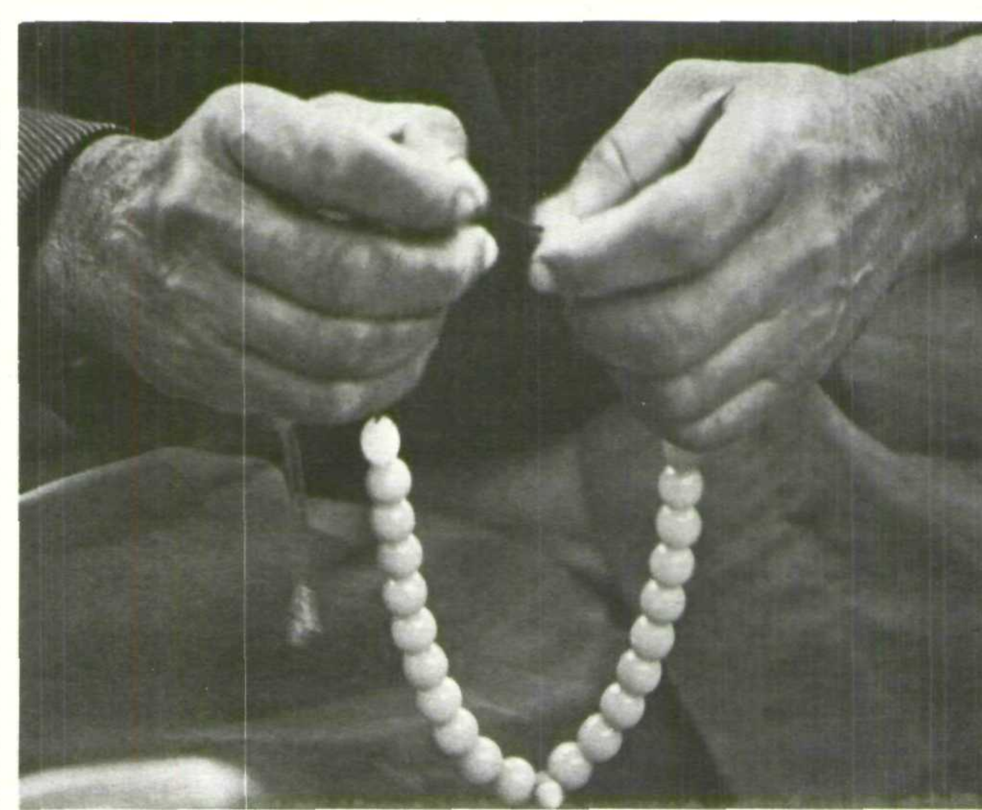
وقد جاء في بعض المراجع التاريخية أن المسبحة قد دخلت الشرق الأوسط عن طريق الهند ، على شكل أكوام من البذور أو الحصى تناقلتها الأيدي أثناء الذكر . غير أنه لم يمض وقت طويل حتى استبدلت البذور والحصى بمواد أخرى أدت الى ظهور المسبحة على شكلها الحالي تقريبا . ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ، شاع استعمال المسابح بين الناس الى درجة أن البعض منهم كان يعتبرها ضرورة متممة لشخصية الفرد ومظهرا من مظاهر أناقته .

ويروى أن المسبحة المكونة من ثلاث وثلاثين حبة ترمز ، بالنسبة لغير المسلمين ، للثلاث والثلاثين سنة التي عاشها المسيح على الأرض . أما بالنسبة للمسبحة ذات التسع والتسعين حبة فيروى أن أصل فكرتها يعود الى الصوفيين الذين استخدموها في ترديد أسماء الله الحسنى البالغ عددها ٩٩ اسما . وهذان النوعان من المسابح شبيهان ببعضهما البعض من حيث الشكل والتصميم ، فلكل منهما قطعة أسطوانية مخروطة يلتقي فيها طرفا الخيط ، ويعقدان في نهايتها

كثيرا ما تعبر طريقة الامساك بالمسبحة عما يعتمل في نفس المرء من انفعالات ومشاغل وجدانية .

هنالك الكثيرون ممن تسعفهم المسابح التقليدية على التركيز والامعان في التفكير .





نشوء المسابح كان مرتبطا بفكرة دينية ، فكثيرا ما تستعمل لترديد ذكر الله تعالى مع كل حبة من حباتها .



ثلاثة نماذج لمسابح صنعت حباتها من المواد الثمينة النادرة ، وزينت أطرافها بشرابات خيطية أو معدنية تضفي على المسابح رونقا وجمالا .

تصوير : خليل أبو النصر

بخصلة مزينة « شرّابة » تضفي على المسبحة رونقا ورواء . وتتكون المسبحة ذات التسع والتسعين حبة من ثلاثة أقسام تفصل بينها القطعة الأسطوانية المخروطة وحبتان صغيرتان تسمى الواحدة منهما « الشاهد » .

وفي وقت مضى كان ثمة نوع ثالث من المسابح يضم ألف حبة من حبات الخرز تكاد تضاهي الواحدة منها حجم البيضة ، وينتظمها حبل غليظ .. وقد استعمل هذا النوع بعض سكان مصر الأقدمون لحقبة محدودة .

ويؤخذ من الأدلة المتوفرة أن نوع المسابح الذي يستعمله بعض رجال الدين الكاثوليك موروث عن النوع الذي كان يستعمله العرب . والذي عرفته أوربا خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، أي بعد أكثر من قرنين من اتصال العرب بالافرنج أثناء الحروب الصليبية . ويضم هذا النوع من المسابح ٥٠ حبة .

وفي عهد الامبراطورية العثمانية ، أصدر القادة العسكريون الانكشاريون أوامرهم الى جنودهم بالكف عن استعمال المسابح بحجة أنها مدعاة للشرود الذهني يؤدي بدوره الى تثبيط الهمم وتبديد العزائم . غير أن الواقع عكس ذلك ، فايقاع دقاتها الناعمة يعين المرء في غضون دقائق أو لحظات على استجماع أفكاره ولم شتات خواطره ، لا سيما أثناء مطارحة الحديث واثارة النقاش .

ويلجأ رجال الأعمال في بعض أقطار العالم الى تدخين السيجار الغليظ الذي يحمل بين ثنايا دخانه امارات الحزم والصرامة لاحداث التأثير النفسي على مستخدميهم .. بينما يفضل العربي المسبحة على السيجار ، وذلك عين الحكمة لرائحة الأخير الكريهة والأضرار الناجمة عنه كتطاير الرماد ، وحرق أطراف المناضد ، وافساد طعم الفم ، وتلويث الأصابع ، واصفرار الأسنان واحتمال الاصابة بداء السرطان الخبيث ■

اعداد : عيسى مسلم



كانت المسابح وما تزال من وسائل الترويح عن النفس (راجع المقال)

تصوير: خليل أبو النصر



منظر جوي لمدينة الخُبَر ويبدو في المقدّمة مبنى مدرسة الصديق الابتدائية التي بنتها أرامكو.. (راجع المقال)

تصوير: برنت مودي